عناصر تحقـــيق الدلالـــة في العربيـــة
دراســـة لســـانية

إعداد
صائل رشدي شديد

المشرف
الأستاذ الدكتور نهاد الموسى

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراة في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية
تشرين الثاني ٢٠٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة (عناصر تحقيق الدلالة في العربية – دراسة لسانية) وأجيزت بتاريخ
20 / 11 / ٢٠٠٣

أعضاء اللجنة **التوقيع**

- الأستاذ الدكتور نهاد الموسى ، رئيسا ..... أستاذ النحو العربي

- الأستاذ الدكتور محمد عواد ، عضوا ..... أستاذ النحو العربي

- الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي ، عضوا ..... أستاذ البلاغة العربية

- الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس ، عضوا ..... أستاذ النقد والبلاغة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهـــداء

إلى مهج القلب وقرة العين

وزينة الحياة الدنيا

مصـــعب وسلـــمى ونائـــل وســـمـــر

وفاء لحـــب يحيـــطونني به

وتقـــديرا لصبرهـــم على ابتـــعادي عنهـــم

صائل شديد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر والتقدير

أستاذي الدكتور نهاد الموسى ، لقد كانت أمنية لي مذ كنت طالبا في مرحلة البكالوريوس أن أتتلمذ على يديك ، وانتظرت ذلك طويلا حتى يسرها الله لي ، وزاد علي من فضله أن أشرفت علي في رسالة الدكتوراة ، فكنت نعم الأستاذ لطالبه . الأستاذ الذي لم يأل جهدا في تقديم النصح والتوجيه ، في كل ما استغلق عليّ من فهم .

والشكر لأستاذي الدكتور محمد بركات أبو علي ، الذي أخذ بيدي مرشدا ، وعلمني كيف أفهم الدرس البلاغي ، وكيف أحاور التراث .

والشكر لأستاذي الدكتور محمد عواد الذي طالما تعلمت منه – وزملائي – حب التراث ، وأخلاق العلماء . فكان نعم الأستاذ .

والشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور يوسف أبو العدوس الذي أفدت من محاضراته في مباحث البلاغة ودروس النقد على مقاعد دراستي الجامعية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا أنسى هنا أستاذي الدكتور خليل عمايرة الذي أنار طريق العلم لي مذ كنت طالبا في البكالوريوس ، فأخذ بيدي بلطف ، فكان عندي الوالد المعلم .

وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ حسام النعيمي الذي أشار علـــي بـــبعض الملاحظات المفيدة في الدرس الصوتي .

كما أشكر أخي ورفيق دربي الأخ بلال نايف سعيد الذي تلطف علي ، وقـــرأ معي الرسالة ، وساعدني في طباعتها . فجزاه الله خيرا .

وأتقدم بالشكر والعرفان لأخي الكريم علي قعدان الذي كان يرافقني في كثير من أوقاتي مشجعا لي ورافعا من همتي حين تفتر .

وإن أنسى لا أنسى خدن الروح ، أم مصعب التي كانت معوانا لي في إنجاز هذه الرسالة إذ حملت عني عبء الحياة وهم الأولاد فتفرغت لدراستي وبحثي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس المـــحتـــوى

الصـــفحة	المـــوضوع
ب	= قرار لجنة المناقشة .....
ج	= الإهداء .....
د – هـ	= الشكر والتقدير .....
و – ح	= فهرس المحتويات .....
ط – ي	= ملخص باللغة العربية .....
١	= المقدمة .....
	= الفصل الأول :
4	(المـــــعـــجم) .....
7	* شبكة المعجم .....
9	* علاقة المفردة بالسياق .....
15	* المعجم بين النظرية والقائمة .....
19	* ثبات المعجم العربي وتطوره .....
25	* ظواهر معجمية .....
27	* المشترك اللفظي .....
35	* الأضداد .....
42	* الترادف .....
	= الفصل الثاني :
52	(الـــــصـــوت) .....
55	* التشكيل الصوتي ونظرية القيمة الدلالية .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني 56
* التقديم والتأخير 57
* الاشتقاق الأكبر 61
* اختلاف الصوت المفرد 67
* الصوت والمعنى 81
* الإيقاع الصوتي 91
* التنغيم 108
* النبر 118
* السكتة المفصلية 121
* حركة الحرف في البنية 129
* الفاء وحروف النطع 129

= الفصل الثالث :

(التـــــركـــيـــب) 131
* في أقسام الجملة العربية 132
* النظرية التوليدية وأثرها على دلالة الجملة 144
* الترتيب 149
* الحذف 163
* الزيادة 179

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= الفصل الرابع :

(الحـــــركـــة الإعـــرابـــيـــة وتأثيرها في الدلالة) 187

= الفصل الخامس :

(دور البنية الصرفية في بيان الدلالة)... 195

- مثل من الاسم والفعل 198
- مثل من اسم الفاعل 201
- مثل من اسم المفعول 205
- مثل من الصفة المشبهة 207
- مثل من صيغ المبالغة 209

= الفصل السادس :

(اللـــــــــوازم) 213

- لازمة السياق 215
- لازمة المقام 216
- لازمة المتكلم 217
- لازمة المتلقي 218
- لازمة الزمان 219
- لازمة المكان 222
- لازمة الثقافة 226
- لازمة الحالة النفسية 227
- لازمة الإشارة 229

= الخاتمة 232

= المصادر والمراجع 235

= ABSTRACT 246

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عناصر تحقيق الدلالة في العربية : دراسة لسانية

إعـــداد

صـــائـــل رشـــدي شـــديد

المشـــرف

الأستاذ الدكتور نهـــاد المـــوسى

ملـــخص

تعنى هذه الدراسة بعرض أهم عناصر تحقيق الدلالة في العربية ، وتنظر إلى الدلالة بكونها الغاية عند المتكلم .ويتضافر لتحقيق الدلالة عناصر من مستويات البنـــاء اللغوي جميعا : المستوى الصوتي و المستوى المعجمي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والحركة الإعرابية ، وينضاف إليها عناصر خارجية هي من لوازم النص في بنيته اللغوية الخالصة .

وتنظر الدراسة إلى تحليل الدلالة من خلال هذه العناصر متضافرة ضمن منظومـــة واحدة . وتتلمس أهم الملامح التي تسهم في تحقيق المعنى مـــن هـــذه الوجـــوه مشفوعة بالأمثلة الدالة .

وجاءت هذه الدراسة في ستة فصول : تناولت في الفصل الأول عنـــصر تحقيـــق الدلالة في المعجم ، إذ رأيت أن المعجم عنصر قائم بذاته مع وجود علاقة بينـــه وبين التركيب في حالة النظم ، وعليه يكون المعجم عاملا مـــساعدا في اختيـــار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفردات التركيب . وبحثت في الفصل الثاني موضوعات الدرس الصوتي منبـــها على أنه لا يمكن فهم دلالة الصوت إلا بتجزئته إلى عناصره ؛ كـــالتنغيم والنـــبر والوقف وغيرهم مما سيرد ذكره في هذا الفصل . أما في الفصل الثالـــث فقـــد ناقشت التركيب وما فيه من عناصر تساعد على تحقيق الدلالة ، وقد رأيـــت أن التركيب يجب أن يؤخذ وحدة متكاملة بعد أن نكون قد تنبهنا إلى الفرق بـــين التركيب في بنيته العميقة والتركيب في بنيته السطحية ، إذ إن مثل هذه المقارنـــة تمكننا من فهم حقيقة الدلالة المقصودة في تركيب ما .

وتناولت في الفصل الرابع أثر الحركة الإعرابية في نقل الدلالة مـــن وجهـــة إلى أخرى ، وأثرها في الإيقاع الموسيقي . أما في الفصل الخامس فقد درســـت دور البنية الصرفية في بيان الدلالة ، ورأيت ضرورة الربط بين البناء الصرفي والمعـــنى الذي يحمله ، ممثلا لذلك ببعض الأبنية الصرفية ودلالاتها . وفي الفصل الـــسادس تناولت اللوازم مستخدما هذا المصطلح لاستيعاب أهم الأمور الـــتي يمكـــن أن تساهم في خدمة المعنى ومن ثم الدلالة ، من غير مباحث اللغة .

وخرجت الدراسة بمجموعة من النتائج أراها جديدة لجدة المنهج الذي اتبعته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

لقد اجتهدت في هذا البحث أن أضع لبنة صغيرة في الدرس اللغوي ، مسترشدا بما حققه علماؤنا الأوائل ، ومستلهما بآراء علمائنا المحدثين والمعاصرين . وقد عمدت إلى الابتعاد عن الحشو ، والزيادة ، ولجأت إلى الاختصار غير المُخِل ، محاولا الاستشهاد بأمثلة تدلل على ما أذهب إليه من رأي .

وقد يأخذ أحدهم على علمائنا الأوائل أنهم اهتموا بالمبنى أكثر من المعنى ، ولعل ذلك من مقتضيات تأسيس علم العربية . ولكن صيرورة البحث اللغوي فيما بعد تغتني بأنظارهم ذات الطبيعة الدلالية .

و يتغيّا هذا البحث استقراء وسائل تحقيق الدلالة في العربية ، أتخذ فيه منهجا يقوم على الائتلاف العضوي المتكامل بين عناصر النظام اللغوي جميعا . فكل عنصر من تلك العناصر يحقق دلالة جزئية ، ومجموع هذه الدلالات الجزئية يحقق الدلالة الكلية . وفي كل جانب جزئي من الدلالة يتكون المعنى فبعض معنى اسم الفاعل ، مثلا ، نجده في دلالة الصرف (الجزئية) ، أو في المعنى الصرفي ، وبعض معناه نجده ، في المفهوم المحوري للجذر ، وبعضه في وظيفته النحوية في الجملة ...الخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكننا تمثيل الدلالتين الجزئية والكلية بالشكل الآتي :

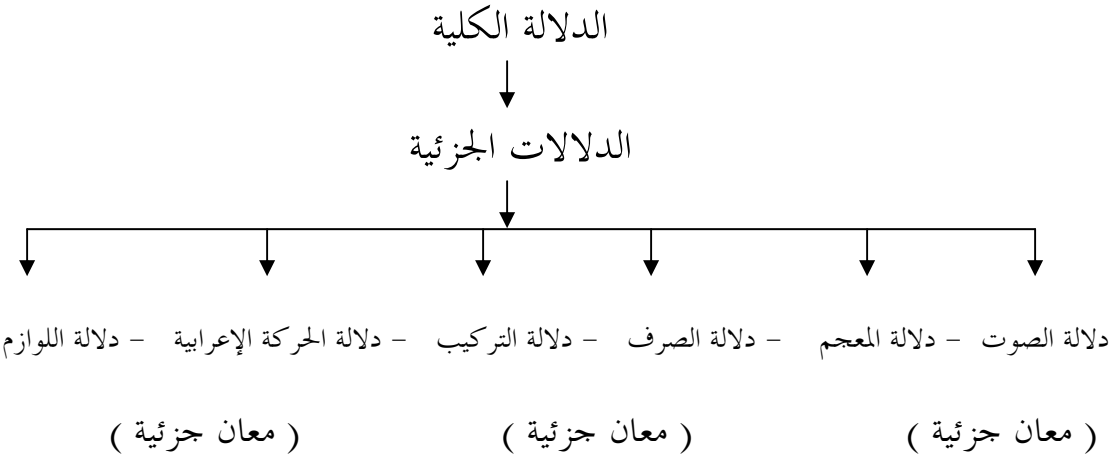

وهكذا ينضوي الدرس الصوتي والدرس الصرفي والدرس المعجمي والدرس التركيبي ودرس الحركة الإعرابية ودرس اللوازم كل أولئك ينضوي تحت مظلة الدلالة . وليس سديدا ما يذهب إليه بعضهم من عزل الدلالة عن هذه " الدروس " .

إذ يعدونها درسا قائما بذاته مثله مثل الدروس الممثلة بالمعاني الجزئية في الشكل السابق كما فعل تمام حسان في كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها .

و لم أجد – في حدود ما أعلم – من نظر إلى الدلالة مثل هذه النظرة التي تجعل المباحث اللغوية أنهرا تصب في بحر الدلالة ، اللهم إلا نتفا وإشارات لا منهجا كما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاولت في بحثي هذا . فإن أكن وفقت فلله الحمد ، وإلا فحسبي أنني اجتهـــدت أن أفتح بابا أرجو أن يلج منه الباحثون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــفصـــــل الأول

المـــعـــجـــم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة :

يناقش هذا الفصل المعجم وأثره في تحقيق الدلالة ، وكيف ينظر إلى المفردة ؛ مستقلة وفي السياق . إذ يرى الباحث أن للمعجم موضوعه الخاص به ، وبأنه مستقل عن الدرس النحوي ، ولا يعد ذيلا للنحو كما عده البنيويون الغربيون .

وقد نظر علماء العربية إلى معجمهم نظرة تأمل وتحليل ، وحاولوا تفسير بعض الظواهر المعجمية كالترادف ، والأضداد ، والمشترك اللغوي ، وغير ذلك من الظواهر. واشترك مع علماء اللغة في تفسير مثل هذه الظواهر علماء الأصول في الفقه الإسلامي؛ إذ درسوا اللفظة ومدلولاتها في العموم والخصوص ، وأثرها في فهم دلالة النص ومن ثم إصدار الأحكام الفقهية . وكان لعلماء المنطق محاولات في هذا المجال إذ نظروا إلى المفردة من دلالاتها المنطقية ووضعوا بعض النظريات لفهم مدلولات الكلمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد قسموا دلالة الألفاظ ونسبتها إلى المعاني إلى سبع تقسيمات يظهر فيها التأثر بالمنطق ، وقد فرقوا بين النظر في اللفظ من دلالته على المعاني ، والنظر في المعنى من حيث هو ثابت في نفسه وإن كان يدل عليه باللفظ . [١]

واستمرت المحاولات إلى عصرنا هذا حيث أخذ علماء اللغة بالنظر مرة أخرى في ظواهر المعجم العربي ، مستفيدين من الدرس اللغوي الحديث ، ومستأنسين بالنظريات اللسانية الغربية .

فذهب بعضهم إلى عد المعجم العربي قائمة ، وعده آخرون نظرية. وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن المعجم بين القائمة والنظرية .

ووجدتُني في هذا الفصل أصف الظاهرة توصيفا علميا سهلا ، يمكنني معه أن أجد تفسيرا منطقيا مبتعدا عن التعمية والتشعب . وقد حاولت المزاوجة بين الأنظار العربية والأنظار الغربية ، محتكما إلى منهج أراه مقنعا لتفسير بعض الظواهر المعجمية .

ويقوم هذا المنهج على عد المفردة مستقلة بذاتها ، وتحمل مدلولا خاصا بها جيء بها من أجل هذا المدلول. ولعل ما كنت أهتم به أثناء دراستي للمعجم العربي هو الانتقال الدلالي للمفردة من المعنى الذي تحمله على الحقيقة مستقلة من غير تركيب ، والمعاني

١- انظر ، الغزالي ، معيار العلم ، ص٤٢ و ص٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي قد تجنح إليها مجازا إن وضعت في سياقات متعددة . وتعمل مثل هذه المقارنة بين معنى المفردة على الحقيقة و معناها على المجاز على تحديد دلالة ما يقول المتكلم ، وفهم مراده بدقة .

شبكة المعجم

إن النظرة المتفحصة للمفردة ، وما تحمله في الخاطر الأول عند ورودها إلى أسماعنا ، أو ما تهجس به خواطرنا ، تجعلنا نحدد إلى حد كبير ودقيق ، ما يحدث من عمليات قد تكون معقدة وسريعة ، ولكنها مفهومة إن كنا نألف هذه المفردة. فما يحدث عند سماعنا لمفردة ما ، هو اجتماع علاقتين معا في آن واحد ضمن علاقة منطقية لتكونا شبكة المعجم .

أما العلاقة الأولى فهي العلاقة الصورية " الذهنية " ، وفيها تظهر صورة المفردة متمثلة ومتجسدة في الذهن ، إن أمكن تجسيدها ، وإلا فإنها تتمثل لنا صورة حركية ، وذلك حين تكون المفردة فعلا ، أو تتجسد شعورا أو إحساسا ، حين تكون المفردة تعبر عن معنى معنوي كالمعروف و السكينة ..الخ . أما مذهب من ذهب إلى أن " الألفاظ ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضعت للدلالة على الموجودات الخارجية بل وضعت للدلالة على المعاني الذهنية " [١] ففيه نظر إذ لا يمكن أن تتركب المعاني الذهنية دون معاينة أو شعور أو إحساس للموجود الخارجي ، وإلا أصبحت المعاني الذهنية قائمة في فراغ . واعتمادنا على المعاني الذهنية في بداية الأمر ، يقودنا إلى عدم الاتفاق على هذه المعاني الذهنية ، إذ كيف يتم الاتفاق عليها وهي غير متمثلة في موجود خارجي .

أما العلاقة الثانية ، فتكمن في المعاني الجزئية المتعددة لهذه المفردة ، التي تأتلف بطريقة متلاحقة وسريعة . حتى إن هذه المعاني الجزئية تأتلف دفعة واحدة لتكون لنا صورة متكاملة عن معنى هذه المفردة . أما استبعاد بعض أجزاء المعاني الجزئية فإنه متروك للسياق .

فعند ورود مفردة " الأسد " ، مثلا ، على أسماعنا أو خواطرنا فإن العلاقة الصورية ترسم لنا صورة هذا الحيوان الذي نعرفه ، وفي نفس الوقت تبدأ المعاني الجزئية بالامتثال تتابعا كالقوة والملك والافتراس والشجاعة والتحدي ..... الخ .

[1]- الرازي ، المحصول في علم الأصول ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك مفردة " درس " ، مثلا ، فالعلاقة الصورية يصعب تجسيدها ، ولكن يمكن تصورها أو تمثيلها حركيا ، مع اختلاف التجسيد من شخص لآخر ، مع ورود المعاني الجزئية بالظهور كالاجتهاد والاهمال، والبحث ... الخ .

وكذلك "السكينة" ، مثلا ، فإنه لا يمكن لنا أن نجسدها بصورة ما أو نتمثلها حركيا ، ولكننا نحس بها حال ورودها على أسماعنا أو أذهاننا. إذ تبدأ المعاني الجزئية بالاندماج في هذا الشعور وغالبا ما تتولد الدلالات المعنوية في مثل هذه المفردات. ويجب الانتباه إلى الحالة النفسية التي تصاحب كل مفردة من المفردات ؛ والحالة النفسية أقوى ما تكون في المفردات التي تحمل دلالات معنوية ذلك أن هذه المفردات تحمل جزءا كبيرا من المؤثرات النفسية الكامنة في المفردة نفسها .

أما إذا كنا لا نألف هذه المفردة ، فإن العلاقتين اللتين تتكون منهما شبكة المعجم لا يمكن حدوثهما معا في آن واحد ، وهذا دليل منطقي على صحة ماذهبنا إليه ؛ فانتفاء حدوث هاتين العلاقتين في الحالة المغايرة دليل على صحة وجودهما . إذ إننا لو سمعنا مفردة لا نألفها ولا نعرفها وليست في سياق ، فإننا نلجأ إلى الخيال أو الخواطر وهذا يؤدي إلى التكهن وينأى بنا عن حقيقة المعنى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة المفردة بالسياق

إن العلاقة بين المفردة والسياق علاقة تكاملية ؛ فالمفردة تكون السياق والسياق يوجه معنى المفردة، وبذلك يتحكم كل منهما بالآخر . ولكن ماذا يحدث في حالة ورود المفردات على مسامعنا ؟

يرى الباحث بأنه في حالة ورود مفردة معروفة لدينا في سياق ما ، فإن العلاقة الصورية " الذهنية " ، تبقى قائمة ، وأما المعاني الجزئية فإنها تأخذ بالانحسار ، وبذلك تتنحى معظم المعاني الجزئية ، ليبقى عندنا معنى جزئي واحد دقيق تعبر عنه المفردة ، وهو الذي من أجله جاء المتكلم بها .

وأما في حالة عدم معرفتنا للمفردة ، فإن العلاقة الصورية تختفي تماما وتبدأ محاولة معرفة المعاني الجزئية لهذه المفردة ، من خلال علاقة المفردة بالمفردات السابقة واللاحقة لأن " التعلق بين الألفاظ يكون بين معانيها لا فيما بينها أنفسها "[١] .

وللسياق دور كبير في إبعاد كثير من المعاني الجزئية ، أو أنه يعطي الكلمة معاني مختلفة لا يمكن للمعجم أن يدركها " والمعنى معجمي في الكلمة المفردة ، أما حين تدخل في

[1]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٤٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياق فإن معناها لا يسمى معجميا نظرا إلى أن السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التي تعطي الكلمة من المعاني ما لايرد على بال صاحب المعجم .. " [١] . وبذلك يمكن لنا مقارنة المفردة بمفردات السياق ، ومقاربة معناها . ثم تبدأ العلاقة الصورية بالتكون . وإذا لم نتمكن من مقاربة المعنى لمعرفته من خلال التعلق؛ فإن الغموض سيكتنف جزءا من السياق . أما في حالة ورود مثل هذه المفردة منعزلة عن السياق فإن العلاقتين التي تتكون منهما شبكة المعجم ، لا يمكن لهما أن تعملا في مثل هذا الوضع .

ولكن الكفاية اللغوية ليست واحدة عند الجميع ، بحيث يتمكن كل واحد من تحديد المعاني الجزئية الدقيقة للمفردة ، واطراح بعض المعاني الأخرى التي لا تتناسب والسياق، لا سيما أن هناك معاني تكمن صعوبتها في تحديد فوارقها الدقيقة في المعنى. فالمفردتان " كأس " و " كوب " ، مثلا ، لا يمكن تحديد الفرق بينهما إلا بعد دراية مسبقة قد لا تكون عند عامة الناس . والقول هنا أن هذا الأمر منوط بعلماء اللغة لإظهار هذه المعاني الدقيقة وتبيانها .

[1] - تمام حسان ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعند سماع مفردة " كأس " ، مثلا ، فإن العلاقة الأولى وهي الصورية " الذهنية " تتشكل بشكل سريع . ولكن المعاني الجزئية المتداعية عند العامي ـــ في هذا العصر ـــ لا يمكن لها أن تحدد المعنى الجزئي والدقيق ، أو الفارق بين الكوب والكأس . أما أهل الاختصاص فإن المعنى الجزئي الدقيق لكل من هاتين المفردتين معلوم عندهم ، لذلك يختلف المعنى عندهم عنه عند العامي . وإنما يقع مثل هذا في حال لغة كالعربية تتعلم تعلما ، إذ تمتد في تاريخ طويل متصل ، لا يتأتى لمن يستعملونها أن يدركوا هذه الفروق بالسليقة ، إذ إن العربية ليست لغة مكتسبة ، أما في حال الاكتساب ، فإن الناطق باللغة يدرك هذه الفروق بكيفية توليدية خلاقة . ويمكن إجمال ما قلته في هذا المبحث بالجدول الآتي :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

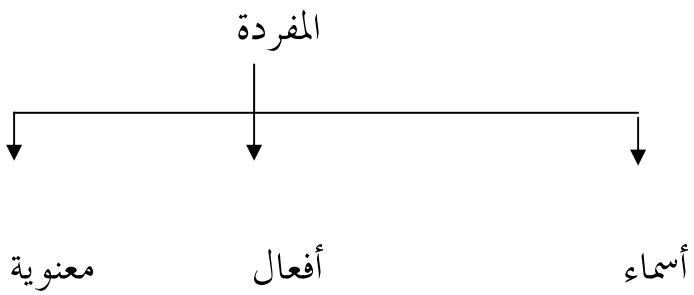

المفردة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شبكة المعجم

الـــــــــــــــــــــــــــــــصورة الذهنيـــة

جزيئات المعنى

معنى المفردة

معـــــــــــــــــــــــــــــــنى معجمـــي

معنىفي السياق

معنى معجمي

معروفـــة

غير معروفة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شبكة صورية شبكة جزيئات المعنى لا توجد شبكة صورية

لا توجد شبكة جزيئات المعنى

معنى في السياق

مفـــــــــــــــــــــــردة معروفـــــــــــــــــــــــة

مفردة غير معروفة

المعجم بين النظرية والقائمة

انقسم علماء اللغة حول تصنيف المعجم ، فمنهم من يرى بأنه عبارة عن قائمة مـــن المفردات كتمام حسان ، إذ لا علاقة منطقية بين المفردات في المعجم " وإذ لم يكـــن المعجم كما رأينا نظاما من أنظمة اللغة ، لأنه لا تتوافر له مقومات النظام ، فلا بد أن يكون منهج المعجم متجها إلى دراسة قائمة من الكلمات ، تشتمل على جميـــع مـــا يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات . " [١]

ويرى إبراهيم بن مراد أن المعجم عبارة عن نظرية وأن كلا من البناء الصوتي والصرفي والدلالي تمثل أركان نظرية المعجم.

[1]- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أما المفردة فدليل لغوي تتكون ثنائيته من وجهيْه : الدال الـــذي يمثـــل الـــشكل ، والمدلول الذي يمثل المحتوى ، والدال يتكون من : تأليف صوتي عناصره الأصـــوات ومن بنية صرفية ، عناصرها الوحدات الصرفية أو الصرافم والـــصياغم ، والمـــدلول متكون من(المعنى) أو (المفهوم) ، الذي يربط الدال من خلال علاقة ما ، مباشـــرة أو غير مباشرة – بمرجع ما خارج اللغة ، وهذه المكونات الثلاثة – الصوتي والصرفي والدلالي – أساسية في اكتساب المفردة أو الوحدة المعجمية ما نسميه (فرديتها) في نظام اللغة لتصبح (فردا لغويا) . " [١]

وما يراه الباحث أن المفردة في استقلاليتها عنصر في قائمة ، إذ لا علاقة بينها وبـــين غيرها من المفردات ، أما النظرية ، فهي عبارة عن مجموعة من العلاقـــات المنطقيـــة القائمة بين هذه العناصر (المفردات) ، وعليه لا يمكن لنا أن نعد المفردة المعجميـــة المنعزلة عن السياق جزءا من نظرية أو نظام . أما كونها تأتلف من أصـــوات وبنيـــة صرفية ومعان دلالية ، فلا يعني بالضرورة بأنها نظام في تصنيفها المعجمي .

فمن الطبيعي أن تتكون المفردة من أصوات ، وبالتالي من بنية صرفية ، ومن الطبيعـــي بعد ذلك أن تحمل معنى دلاليا، ولو أحدثنا تغييرا ما في بنيتها الصوتية أو الصرفية لتغيّر

[1] - إبراهيم بن مراد ، مقدمة لنظرية المعنى ، ص٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى . وإنما يكون المعجم نظرية ؛ بائتلاف المفردات أو أن المفردة تتغير بتغير عنصر ما في بنيتها الداخلية ، كالنظام الصرفي أو الصوتي .

أما إبراهيم بن مراد فقد تحدث عن تغييرات تدخل على المفردة ، كتغير في أصوات المفردة ، وعد هذا التغير أحد أسس النظرية المعجمية " وإذ إن المفردة أو الوحدة المعجمية في جوهرها أصوات مع بنية صرفية مع دلالة ، فإن علم الأصوات وعلم الصرف وعلم الدلالة تصبح من مكونات النظرية المعجمية . " [١]

إلا أن الباحث يرى أن هذا التغييرات ، تعمل على نقل المفردة المعجمية من خانة معجمية إلى خانة معجمية أخرى . أي ترتيبها في أبواب المعجم ، وبهذا فإن هذا العامل التغييري الواقع على المفردة ، لا يجعل المعجم نظاما أو نظرية ، بل هو انتقال للمفردة من حقل إلى آخر ، ينتقل معه المعنى تلقائيا . أما وجود المفردة في سياق ما، فلا يجعل المفردة المعجمية قائمة ولا نظرية أو نظاما ، لكن نعدها عاملا من أحد العوامل(المساعدة) في إنشاء النظام العام للجملة (التركيب) أو السياق. والعامل يتغير بتغير النظام اللغوي الذي يدور في فلكه وبهذا تكتسب المفردة المعجمية خصوصيتها ، ولا تعد مفردة مستقلة ، أو أنها ذيل للنحو أو للتركيب. وبهذا فإننا

[1] - إبراهيم بن مراد ، مقدمة لنظرية المعجم ، ص٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ننقلها من كونها مفردة ، إلى كونها عاملا مهما في بناء الجملة " التركيب " وفي نهاية المطاف في بناء الكلام كله . وعليه فإن تعاملنا مع المعجم يكون على هذا النمط ؛ فهو قائمة في حالة أن المفردة المعجمية منعزلة عن السياق ، وهي عامل مهم في صياغة التركيب ومن ثم المعنى كونها في السياق .

وقد لفت إبراهيم بن مراد إلى كيفية الوصول إلى الفروق الدقيقة بين المفردات حيث اعتمد على خصائص أربع يمكن لنا من خلالها أن نفرق بين المفردات معجميا وهذه الخصائص تتمثل بالانتماء المقولي أي أقسام الكلام (اسم – فعل – صفة – ظرف – الأدوات) ، والتأليف الصوتي والبنية الصرفية والدلالة " تلك إذن أربع خصائص تمييزية ضرورية واجبة الوجود في الوحدة المعجمية ، ولا يمكن أن تشترك الوحدتان المعجميتان في الخصائص الأربع ، بل لا بد أن تنفرد كل منها بخصيصة واحدة على الأقل ، فتتميز بها عن غيرها من الوحدات . " [١]

[1]- إبراهيم بن مراد ، مقدمة لنظرية المعجم ، ص١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبات المعجم العربي وتطوره

إن المتأمل في المعجم العربي ، يجده يسير في مسارين : أما الأول فهو مسار المفـــردات العامة (الموروثة) ، التي تتكون منها معظم مفردات اللغة . ونرى هنا أن هذا المسار يمثل ثبوتا نسبيا ، فلا يمكن و لم نسمع ، أن أحدا جاء لنا بمفردة جديدة في هذا المسار وبهذا فإننا نتعامل مع هذا المسار بمفردات ثابتة . ولكن هذا المـــسار لا يخلـــو مـــن الإبداع، وإنما يكون الإبداع ، في تأليف هذه المفردات وأنساق علاقاتها معا ، لتخرج لنا معان مجازية جديدة ومتجددة في كل عصر . وهنا يكمن التوليد في هذا المـــسار ، حيث المعاني المجازية والصور البلاغية الخلاقة ، التي تأتلف من غير مفردة ، وهنا يكمن الإبداع الحقيقي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل إن ثبات هذا المسار في مفرداته ، يعطي للعربية استقرارا وتواصلا لا يمكن لأحد المساس به . فهي لغة مستقرة في هذا المسار ، يتعاور عليها الأدباء والشعراء ، بل عامة الناس ، في جميع الأزمان ، فيكون التنافس من خلال معيار ثابت ، به ينشئون معاني إبداعية جميلة ، مازلنا نتلقاها إلى وقتنا المعاصر بالرغم من تراخي الزمان عليها .

ولو تعرض هذا المسار للتطور والتغيير ، لحدث العكس تماما ، ولمالت مفردات هذا المسار إلى العامية والتعمية ، وخاصة أننا في زمن ضعف الأمة وانكسارها . ومرجع الثبات النسبي لمفردات هذا المسار ، هو أن مفردات هذا المسار تعبر عن ثوابت رسّخها اقتران العربية بالمقدس والتراث المتصل على الزمان . أما المسار الثاني ، فهو مسار المصطلحات العلمية والمسميات الجديدة والطارئة ، إذ يعد هذا المسار مفتوحا أمام المبدعين من أهل اللغة ، ليرفدوا المعجم بألفاظ جديدة ، ضمن قانون النظام العربي في استيعاب المفردات والمصطلحات الجديدة وتعريب ما هو أجنبي .

وبهذا فإن العربية قادرة على استيعاب جميع المصطلحات الجديدة والمتغيرة ، وعليه يكون المسار الثاني مسارا خلاقا إبداعيا ، إذ لا يعمل هذا المسار إلا في حالة الرقي والتقدم ، بغض النظر من هو صاحب هذا التقدم والرقي . وبذلك نضيف إلى معجمنا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألفاظا تدل على التطور والتقدم ، وبهذا ندلل على أن العربية تستطيع أن تستوعب جميع المصطلحات الحديثة أو المسميات الحديثة والمتجددة ، وهي بذلك تجمع بين القديم من الألفاظ الثابتة وهذا جانب الأصالة ، والمفردات الجديدة المعاصرة المتطورة وهذا جانب التجديد . وبهذين المسارين تكون العربية اللغة الوحيدة التي يمكن لها أن تتطور مع ثبات .

فعملية ثبات المعجم من جانب ، وتطوره من جانب آخر ، يمكن أبناء اللغة من التواصل فيما بينهم بالرغم من بعد العهد بينهم وتقادم السنين . وهذا ما جعل القرآن الكريم يصلح لكل زمان ومكان ، فلو أن تغييرا حصل في مفردات المسار الأول لعجز أهل العربية المعاصرون عن فهم القرآن الكريم ، أو النصوص الأدبية ، أو على الأقل لحصلت جفوة أو فجوة بين أبناء العربية ، وبين أدبهم وتراثهم أو أصبح الأمر مقتصرا على أهل الاختصاص . بالرغم من حصول تغير في دلالات بعض المفردات التي يمكن تبيّنها وحصرها ، ولكن هذه المفردات بقيت ثابتة في صياغتها .

وخلاصة الأمر أن المعجم العربي ينقسم إلى قسمين :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسار ثابت : للمحافظة على أصالة اللغة

المعجم العربي

مسار متطور : لمواكبة التطور والحضارة

وتقسيم المعجم العربي إلى مسارين ، يرد على من ذهب بأن المعجم العربي بدأ بالانحسار بعد عصرالاحتجاج ، إذ إن الأخذ بالمسار الأول أدى إلى رفض كثير من الألفاظ غير العربية ، والتي دخلت على العربية من خلال انفتاح العرب على الأمم الأخرى . فللعربية معجمها الخاص بها ، إذ إن المسار الأول له قدسيته التي يستمدها من القرآن الكريم ، فالقرآن حافظ على المسار الأول من الضياع ، أو من إدخال مفردات لا تتناسب مع العربية في هذا المسار ، مع فسح المجال أمام المصطلحات العلمية ، أو المسميات الجديدة ، والتي لا تدخل في سياق المفردات العامة للغة العربية، للدخول إلى المعجم العربي ، لأنها لا تؤثر سلبا على معجم العربية ، بل تؤثر إيجابا وقبولا ، إذا دخلت ضمن أصول قواعد العربية في التعريب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ظاهرة انحسار بعض ألفاظ المعجم في الاستخدام اليومي ، لا سيما في وقتنا المعاصر فهو أمر طبيعي ، فالمعجم كالمائدة فيها من الألفاظ ما طاب لأهل العربية أن يستخدموه من ألفاظ المعجم ، فيستخدم كل واحد المفردات التي يراها مناسبة أو تناسب الزمن الذي يعيشه . لذلك كان من السهل علينا أن نتعرف على عصر النص من خلال السمات العامة للمفردات . وإن عدم معرفتنا بجميع مفردات اللغة ، لا يسوغ لنا رفض بعضها ، وكذلك عدم قدرتنا على التفريق بين معاني هذه المفردات تفريقا دقيقا ، لا يسوغ لنا استخدام مفردة مكان أخرى .

أما القول في الممكن والمستعمل في المعجم العربي ، فإننا نذهب مذهبا يؤكد على سعة المعجم العربي ومرونته ، للتسهيل على مستخدمي العربية ، من حرية استخدام اللفظة ـــ البناء الصرفي ـــ التي تعبر عن المعنى الكامن في النفس ، على أن تكون هذه اللفظة خاضعة للقانون اللغوي العربي .

فإن كان بالإمكان استخدام هذه اللفظة ضمن النظام اللغوي العربي ، فلا بأس من استخدامها ، لتخدم المعنى الذي تريده " ونذهب في هذه المسألة ، أن المعجم ينبغي أن ينتظم كل تشكيل لفظي ممكن ، تسمح به قواعد (وضع) الكلمة في العربية سواء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكان مستعملا ، أم لم يكن ، إلا ما لا تسمح به القواعد الفونولوجية من تتابع أصوات بعينها . "[١]

أما عن سبب استخدامنا لبعض المفردات ، وعدم استخدامنا للبعض الآخر ، فيرجع إلى علماء العربية و الأدباء والشعراء ، فمن خلالهم تحيا بعض المفردات ومن خلالهم تنزوي بعض المفردات . وهذا يدلل على أهميتهم في المعجم، وأثرهم على عامة الناس ومعجمهم اليومي .

وفي هذا السياق هناك مفردات في العربية استخدمت في العصر الجاهلي ، و لم تستخدم في العصر الإسلامي ، بالرغم من أنها لا تمس العقيدة ، إلا أن العصر الإسلامي تجاوزها إما لوعورتها، أو وحشيتها أو أنها لا تتناسب مع البيئة أو لأسباب أخر. ومع ذلك لا يمكن لنا أن ننكر وجود هذا المفردات ، فهي قائمة في المعجم العربي . وهذا يعطي قوة لمعجمنا العربي غير موجودة في المعاجم الأخرى ؛ إذ إنه يحتفظ بجميع مفردات العربية التي اعتمدت من قبل علماء اللغة، وللمستخدم أن يستخدم ما يشاء وما يتفق له من ألفاظ هذا المعجم ، على أن تتناسب مع المعنى الذي من أجله جاء بهذه الألفاظ .

[1]- نهاد الموسى ، العربية نحو توصيف جديد ، ص٢٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظواهر معجمية

ظهرت في العربية ظواهر معجمية متعددة ، تمثل وجوها من العلاقة بين اللفظ والمعنى ، ففيها المشترك اللفظي حيث يدل اللفظ الواحد على معنيين ، و الأضداد حيث يدل اللفظ الواحد على معنيين متقابلين ، والترادف حيث يدل اللفظان على معنى واحد ، وتلك الظواهر تستحق الكشف والتفسير ، لأنها تخرج عن المثال القالبي النظري الذي يتمثل لكل لفظة واحدة معنى واحدا لا تعدوه .

وقد تعرض علماؤنا إلى هذه الظواهر بطرق مختلفة ، إلا أن السمة العامة بين هذه الطرق غياب المنهجية والتأصيل في النظر إلى هذه الظواهر ، فكان التعصب أحيانا للعربية منطلقا لإنكار هذه الظواهر ، وكان النظر في اللغات الأخرى منطلقا لإثباتها في العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه فقد ارتأيت أن أدرس هذه الظواهر ، من خلال منهج يقوم أولا : على النظر إلى المفردة مستقلة عن السياق مع تحليل معانيها الجزئية لإيجاد مشترك ما بين هذه المعاني رافضا القول بتطابق المعاني في المفردة الواحدة وثانيا : النظر إلى المفردة في سياقاتها المختلفة ، وما يمكن أن تكتسبه المفردة من معنى يفرضه السياق والمعجم في آن واحد .

ثالثا : البعد عن تصنيف المفردة ضمن الظواهر المعجمية ؛ كالترادف والأضداد والمشترك اللفظي . فإن لم أتمكن من ذلك أعدها واحدة من هذه الظواهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشترك اللفظي

عرف العرب المشترك اللفظي، وتعاملوا معه كظاهرة في معجمهم ، فالمشترك اللفظي عندهم " اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة . " [١]

ويقول عنه أبو علي الفارسي : " اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ، ولا أصلا ، ولكنه من لغات تداخلت أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ، ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل . " [٢]

وأبو علي الفارسي يضع يده على العلة الحقيقية للمشترك اللفظي ، وهو ألا يكون قصدا في الوضع . أما المناطقة وبعض الأصوليين ،كالغزالي ، فيذهبون إلى أن المشترك اللفظي هو " الذي وضع بالوضع الأول مشتركا للمعنيين ، لا على أنه استحقه أحد

[1]- السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص٣٦٩ .
[2]- ابن سيده ، المخصص ، ج١٣ ، ص٢٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسميين ، ثم نقل عنه إلى غيره ، إذ ليس لشيء من ينبوع المـــاء والـــدينار وقـــرص الشمس والعضو الباصر ، سبق إلى استحقاق اسم العين ، بل وضـــع لكـــل وضـــعا متساويا بخلاف المستعار والمنقول . " [١]

فالخلاف بين الغزالي والفارسي حول المشترك اللفظي ، أهو وضع أم أنه غير مقصود بالوضع . وأرى بأننا لو سلمنا بقول الغزالي ، لأثبتنا منذ البداية وجـــود المـــشترك اللفظي من أصل اللغة ، وهذا غير منطقي، إذ لا يتصور أن يضع أهل اللغـــة مفـــردة واحدة ، تحمل معاني مختلفة في زمن كانوا يضعون فيه ألفاظ اللغة ليفرقوا بين المعـــاني من خلال ألفاظ متعددة ، والأمر كان متاحا لهم وبيسر ، فالأمر لا يعدو أن يكـــون هناك أصل لهذا المشترك ، ثم استعير هذا الأصل إلى معان أخر . إذن فالمشترك اللفظي لا يعد من باب الوضع ، بل هو من باب المستعار ، وعليه فإن المشترك اللفظي يتكون من لفظة أصلية في الوضع ، والباقي من هذا الأصل جيء به ليحمل دلالات بلاغيـــة ومجازية .

فالعين " الجارحة ، قال : (والعين بالعين)[١] ، (لطمسنا على أعينهم)[٢] ، (وأعينهم تفيض من الدمع)[٣] ، (قرة عين لي ولك)[٤] ، (كي تقر عينها)[٥] ويقال لذي العين

[1]- الغزالي ، معيار العلم ، ص٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عين، وللمراعي للشيء عين ، وفلان بِعَيني أي أَحْفَظُه و أُراعيه ..... ويُستعار العين لمعان هي موجودة في الجارحة بنظرات مختلفة ، واستعير للثقب في المزادة تشبيها بها في الهيئة وفي سيلان الماء ." [٦]

وبالاستعانة بالمنهج التاريخي ، يمكن أن نثبت صحة ما ذهبنا إليه ، وهو أن المشترك اللفظي له لفظة هي الأصل ، ومن ثم استعير هذا الأصل إلى معان أخر . فمفردة (الساعة) ، مثلا ، من المشترك اللفظي في قوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)[٧] . فالجاهلي كان يعرف مدلول الساعة في معجمه ، ولكن المؤكد هو أنه لم يعرفها بمعنى يوم القيامة ، لأن مثل هذا المعنى عرف بعد ظهور الإسلام و لم يعرف من قبل .

إذن فالمشترك اللفظي يتكون من أصل ، ثم من فروع متفرعة من هذا الأصل ، ويعد هذا من جماليات العربية ، في أنها تأخذ المفردة من معناها الأصلي الذي أنشئت من أجله ، لتستعار إلى دلالات أخرى في سياقات ما . ولكنها تبقى مع هذا التحويل

---

[1]- من قوله تعالى : " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين " المائدة ، آية : ٤٥ .
[٢] – من قوله تعالى : " ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون " يس ، آية : ٦٦ .
٣- من قوله تعالى : " ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع " التوبة ، آية :٩٢ .
[4] - من قوله تعالى : " وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهو لا يشعرون " القصص ، آية:٩ .
[5] - من قوله تعالى : " فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن . " طه ، آية : ٤٠ .
[6]- الراغب الأصبهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص٣٥٧ – ٣٥٨ .
[7]- سورة الروم ، الآية : ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجازية في السياق ، فإذا ما ذكرناها في عزلة عن السياق أو الموقف فإنها تأخذ وتحمل معناها الأصلي الذي من أجله وضعت . ومن أجل ذلك كان تبويبها في المعجم في المعنى الأصلي لها ، وينضوي تحت هذا المعنى ، المعاني الجزئية المتعددة والتي تصنف على أنها من المشترك اللفظي .

أما الغربيون فقد حاولوا التفريق بين تعدد المعاني polysemy والتماثل اللفظي Homonymy [1] فالتماثل اللفظي ، يطلقونه على الألفاظ التي لفظها وكتابتها واحدة ، ولكن المعنى مختلف نحو (See) و (See) ، فالأولى تعني ينظر والثانية تعني أبرشية الكهنوت ، ونحو (Trunk) و (Trunk) فالأولى معناها خرطوم الفيل ، والثانية معناها بدالة الهاتف ، ولا يمكن أن نميز بين اللفظتين إلا من خلال السياق . أما تعدد المعاني فيطلقونه على الحالات التي تتعدد فيها مدلولات الكلمة الواحدة نحو (Neck) التي تعني جزءا من الجسم وجزءا من القميص أو أجزاء من الزجاجة .

وأرى في هذا التقسيم نوعا من التماحك الذي لا يمكن أن يخدم المشترك اللفظي ، وربما جاء هذا التقسيم لطبيعة اللغة الإنجليزية ، والتي تتسم بالتغير المستمر ، إضافة إلى

[1]- انظر ، دور الكلمة في اللغة ، تعليق المترجم ، ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن الإنجليزية تتجاذبها مدرستان إنجليزية وأمريكية . فتعمل كل مدرسة على وضع مفردات أو التعامل مع المفردات بطريقة مختلفة عن غيرها . إذ إن التعدد المعنوي جزء من التماثل اللفظي ، فلذلك لا يمكن فصل الجزء عن الأصل ليكون أصلا في ذاته .

إن المشترك اللفظي إنما جاء في العربية لا قصورا في ألفاظها ، بل بيانا وبلاغة فالعين هي العين الباصرة ، والعين هي نبع الماء ، والعين الجاسوس ، وغير ذلك ولكن العربي كان ومايزال متعلقا بالبلاغة ، لذلك لجأ إلى إستعارة ألفاظ إلى معان متعددة ، ليعطي للتركيب جمالا يحلق فيه ، وللمعنىاتساعا وجمال صورة . ولعل لفظة تكون أبلغ من أختها في سياق ما ، فيلجأ العربي إلى استعارتها لتخدمه في السياق الذي يريده ، فالمسألة لا تعدو أن تكون مسألة بلاغية .

" غير أن هذه المعاني الفنية المجازية يكثر ترديدها على الألسنة مع إطلاقها المجازي الفني فحين يطول عليها الأمد في هذا الاستعمال يميل الناس إلى اعتبار دلالتها على المعنى المجازي الجديد دلالة عليه على سبيل الحقيقة ومن ثم يصبح معنى الكلمة متعددا وترصد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها هذه المعاني المتعددة في المعجم فتكون الكلمة بين جلدتي المعجم محتملة لكل معانيها المعجمية المختلفة المنشأ حتى توضع في سياق يحدد لها واحدا من هذه المعاني . "[١]

ومما نلاحظه أن معاني اللفظة في المشترك اللفظي تشترك فيما بينها بجزء من المعنى قد يكون جليا ، وقد يكون خفيا ، ولكننا نحسه بالفطرة اللغوية – وسنفصل في هذا في باب الصوت – . فمفردة مثل (ضرب) ، مثلا ، في(ضرب زيد الغلام) تدل على المعنى الأصلي الذي وضعت من أجله ، أما في (ويضرب الله الأمثال) فإن (ضرب) في هذا السياق تدل على (يمثل ، يعطي) ولكنها تشترك في معنى ضرب الأصلي لما فيها من عملية القوة التي تحملها هذه المفردة في داخلها ، فالضرب في (ضرب زيد الغلام) يحتاج إلى قوة في الأداء ، والضرب في (ويضرب الله الأمثال) فيه معنى القوة في التعبير والتمثيل . ومن بابها (ضرب العملة) أي : صكها . ويبدو أن المعنى المشترك للضرب في السياقات السابقة هو القوة التي تترك أثرا . فالضرب عقاب قد يترك أثرا ، وضرب الأمثال يُفترض أن يُحدث أثرا في ذهن السامع . وضرب العملة ترك الأثر على المعدن ، وكلها نتاج قوة في الأداء . وتأكيد لما تحمل كلمة ضرب من مدلول أكبر من قولنا (يمثل أو يعطي) . فالقرآن عندما استخدم كلمة ضرب بدلا من

[1]- تمام حسان ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص٣٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيرها إنما انطلق من المجاز والبلاغة وتحقيق الدلالة العليا من السياق أو النص . وابـــن فارس يجتهد أن ينشئ علاقات بين الفروع المنبثقة عن أصل واحد فنجده في (ضرب) ، مثلا ، يحاول أن يتلمس مثل هذه العلاقة فـــ " الضاد والراء والباء أصل واحد ، ثم يُستعار ويُحمل عليه .من ذلك ضَربت ضربا إذا أوقعت بغـــيرك ضـــربا ويُستعار منه ويشبّه به الضَّرب في الأرض تجارةً وغيرها من السفر ، قال الله تعالى : (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ويقولون : إن الإسراع إلى السّير أيضا ضرب .... والضَّريب من اللبن : ما خُلط مَحضه بحقينه كأن أحدَهما قد ضُرب على الآخر . والضّريب : الشّهد كأن النحل ضربه ...والضّريبة : ما يُضرَب على الإنسان من جزيةٍ وغيرها . والقياس واحد كأنه قد ضُرب به ضربا . ثم يتّسعون فيقولون : ضَرب فلان على يد فلان إذا حجر عليه . " [١]

وكذلك كلمة العين ، حيث أطلقت على العضو الباصر ، ومن ثم أطلقت على أشياء أخر ، كعين الماء والتي فيها الحياة ، وأطلقت على الجاسوس الذي ينظر بعينه ، وعلى الشمس التي فيها الرؤية والإبصار .

[1]- أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٣ ، ص٣٩٧ – ٣٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمشترك اللفظي في العربية يختلف عن غيره من اللغات ، في أنه ينطلق من منطلق بلاغي جمالي . وهنا نقر بوجود علاقة تلازمية بين معاني المشترك اللفظي والعلاقة التي تقوم على المعنى ، الذي تجسده الكلمة في السياق مع المعنى الأصلى الذي وضعت الكلمة من أجله . وفي حالة التباس الأمر علينا في معرفة الأصل فإننا نلجأ إلى المنهج التاريخي لحل هذه الإشكالية مع أن العربي يدرك بفطرته الأصل من غيره .

وعليه فعند التحليل والنقد يتحتم أن نوضح إن كانت المفردة في معناها الأصلي أم أنها مستعارة أم منقولة إذ يؤثر هذا في النظر إلى الدلالة والتحليل البلاغي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأضداد

الأضداد هي الألفاظ التي يستعمل الواحد منها في معنيين متقابلين ، والأضداد موجودة في العربية بالرغم من قلتها إذا اسثنينا الألفاظ التي تعد من قبيل المشترك اللفظي . وأرى أنه ليس شرطا عد اللفظة من الأضداد أن تكون من قبيلة واحدة ، فالعرب عندما أخذوا لغتهم أخذوها من قبائل عدة " والذين عنهم نقلت العربية ، وبهم اقْتُدِي وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخذ ومعظَمُه ، وعليهم اتُّكِل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . " [1] ، وعليه فإن كل كلمة تحمل معنيين متضادين تعد من التضاد بغض النظر عن مصدرها ، سواء كان المصدر من قبيلة أو أكثر ، وبالمجمل نأخذ كل

[1]- صبحي الصالح ، دراسات في فقه العربية ، ص١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما ورد عنهم في هذا الباب ، مع التأكد أنه من التضاد لتكون الدراسة أعم وأشمل . إن وجود مثل هذه الظاهرة في العربية إنما جيء به ليخدم المعنى لأنه يتأتى لصاحب اللغة أن يراوح في استخدام الألفاظ ليبتعد عن التضاد ، وإنما ينجم التضاد لأسباب ويأتي به من يأتي به لأغراض .

ذُكر في المخصص قوله : " اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع و لا أصلا ولكنه من لغات مختلفة . " [١]

ويعتقد الباحث بأن البواعث الإنسانية ، والحالة النفسية ، هما السببان الرئيسيان في وجود هذه الظاهرة في اللغة . إذ إن المتحدث يضيق به المعنى الحقيقي لسبب أو لآخر، فيذهب إلى المجاز أو الإيحاء فيجد في التضاد إحدى السبل المتاحة . ففي الحالة النفسية، مثلا ، قولنا (السليم) للإنسان اللديغ .

وبالمجمل فإن الباحث يرى أن المقام هو السبب الرئيس الذي يؤدي إلى مثل هذه الظاهرة اللغوية ، فالعملية التخاطبية تحتم على المتحدث أسلوبا معينا في الخطاب وتحتم عليه انتقاء مفرداته . ولأن الأمر متعلق بالمقام والعملية التخاطبية فإننا نجد التضاد على القلة ، أما الشيوع فإني أرجعه إلى المعيار الاجتماعي الذي يتحكم بالشيوع نفسه .

[1]- ابن سيده ، المخصص ، ج١٣ ، ص٢٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولابد للتضاد من سياق ، بمعنى أننا لا نعد هذه الكلمة من التـــضاد اللغـــوي إلا إذا كانت في سياق . أما خارج السياق فلا تعد من التضاد ولا يتم تصنيفها في المعجـــم على المعنى الذي أخذته بالتضاد وترجع إلى حقلها المعجمي الطبيعي وفي السياق يجب أن تقترن المفردة بقرائن ما ، لنفهم من خلال هذه القرائن ، بأن هذه المفردة تحمـــل معنى غير معناها الأصلي ، وأرى بأن أفضل قرينة للتضاد هي المقام ، الذي يبين لنا ما وراء هذه المفردة من تضاد وغاية المعنى الذي يريده السياق ذلك أن : " كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولا يُعرف معنى الخطاب منـــه إلا باســـتيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حـــال الـــتكلّم والإخبار إلا معنى واحد . " [١]

وينبغي أن نتوخى الدقة في عد بعض المفردات من الأضداد ، إذ قد تكون الصفة هي المشترك في المعنى بين المتضادتين ، فكما في (الصريم) التي تدل على الليل أوالنهار ، و(الصريم) " الليل إذا تصرم من النهار والنهار إذا تصرم من الليل . " [٢]

[1]- ابن القاسم الأنباري ، الأضداد ، ص٢ .
[2]- الأصمعي ، والسجستاني ، وابن السكيت ، ثلاثة كتب في الأضداد ، ص١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذ تكون الصريم صفة لليل على بعض الحال والشرط أو صفة للنهار عل مثل ذلك ، وليست اسما لأي منهما بإطلاق ، ولكن لكون الليل أو النهار يعملان على الفصل بينهما ، وبظهور أحدهما يختفي الآخر ، أطلق على كل منهما صفة الصريم .

" والصريم : الصبح لانقطاعه عن الليل ، والصريم : الليل لانقطاعه عن النهار .. ويقال لليل والنهار الأصرمان .. " [١]

فلا يمكن لنا أن نفرق بين المعنيين المتضادين ، إلا من خلال السياق كقوله تعالى : (فأصبحت كالصريم) [٢] أي أصبحت سوداء كالليل . فالذي أظهر المعنى السياق .

ومن معنى الصبح " قول بشر يصف ثورا :

فَباتَ يَقُول أَصْبح ليل حتى تكشّف عن صريمتِه الظلام " [٣]

ومن أمثلة الأضداد – عندهم – (وراء) . إذ إنها " تكون في معنى خلف ومعنى قدام . " [٤] وذكر صاحب اللسان مثل هذا المعنى فقال : " وراء والوراء جميعا ، يكون خلف وقدام " [١] .

---

[1]-اللسان ، (صرم) ، ج١٢ ، ص٣٣٦ .
[2]- سورة ، القلم ، الآية : ٢٠ .
[3]- الأصمعي ، السجستاني ، ابن السكيت ، ثلاثة كتب في الأضداد ، ص٤١ .
[4]- المصدر نفسه ، ص٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أن المتبصر في التضاد يجده ليس على الإطلاق ، وأن هناك معنى دقيقا نلتمسه من السياق ، يمكننا من عدم القطع بالقول بالتضاد ؛ ففي قوله تعالى " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " [٢] يتعين معنى " وراءهم " على أنه أمامهم " قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : كان أمامهم ، قال لبيد :

أليس ورائي إن تراخَت مَنيتي لزوم العصا تُحنى عليها الأصابع " [٣]

ومنهم من ذهب إلى أن (وراء) بمعنى ولد الولد " والوراء ولد الولد وفي التنزيل : (ومن وراء اسحاق يعقوب) قال الشعبي : الوراء ولد الولد . " [٤]

والباحث لا يرى بأن (وراء) تعنى ولد الولد ، وإنما من بعد إسحاق سيأتي يعقوب . وقد يقبل معنى (وراء) ولد الولد على وجه في المجاز .

وهناك كلمات أرى أنها من قبيل تطور صيرورة الكلمة ، وليس من قبيل التضاد ، نحو (جلل) . وعليه يجب علينا قبل أن نعد المفردة من قبيل التضاد أن نحاكمها إلى السياقات التي وردت فيها ، وأن ننظر في صيرورة الكلمة حتى يتهيأ لنا الحكم الدقيق على عد المفردة من التضاد أم لا.

---

[1]- اللسان ، (ورأ) ، ج١ ، ص١٩٣ .
[2]- سورة الكهف ، الآية : ٧٩ .
[3]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (ورأ) ، ج١ ، ص١٩٣ .
[4]- المصدر نفسه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الحديث عن السياق نجد مفردة نحو (قروء) تحمل معنيين متضادين عند البعض ، فإذا ما أردنا أن نحتكم إلى السياق نجد أن الأمر مختلف فيه نحو قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) [١] فاختلف العلماء في معنى (قروء) هل يقصد هنا الطهر أم الحيض ؟ فالخلاف حصل مع أنها وردت في سياق آية قرآنية .

وفي حالة مثل هذه فإننا نلجأ إلى المعنى المعجمي أولا حتى نتمكن من معرفة المعاني الجزئية للمفردة ، لنتمكن من مقاربة الأنظار حول هذه المعاني ، ونخرج بعد ذلك بمعنى مقبول يقبله منطق الاستنباط .فقد ورد في اللسان " والقَرء والُقرء : الحيض والطهر ، ضد . وذلك أن القرء الوقت . " [٢]

فنأخذ من هنا معنى الوقت " قال الشافعي رضي الله عنه : القرء اسم للوقت فلما كان الحيض يجيء لوقت والطهر يجيء لوقت ، جاز أن يكون الأقراء حيضا وأطهارا " [٣]

وهنا يؤكد الشافعي على أن من معاني القرء الوقت . " وقال أبو إسحاق : الذي عندي في حقيقة هذا أن القرء في اللغة الجمع ... " [٤]. وهنا يمكن لنا أن نتبين أن القرء قد يُستخدم للجمع بين الأوقات . وبما أن للحيض وقتا وللطهر وقتا جاز المعنى على

---

[1]- سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨ .
[2]- اللسان ، (قرأ) ، ج١ ، ص١٣١ .
[3]- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣١ .
[4]- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجمع بين هذين الوقتين . إضافة إلى أن هذا الوقت يجب أن يجتمع ثلاث مرات لذلك جاز في الآية أن يكون تربص المرأة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار. وهنا تبرز أهمية المعاني الجزئية للكلمة ، وعليه فلا بد أن ننظر في المعاني الجزئية للمفردة ثم نحاول الربط بين هذه المعاني – لا أن نوحدها – لنصل إلى معنى الكلمة في السياق .

أما في سياقات أخر فقد وردت (قروء) دون لبس نحو قوله صلى الله عليه وسلم:

(دعي الصلاة أيام أقرائك) فالقرء هنا الحيض . والتضاد نفسه هو الذي يؤدي إلى تنوع أداء اللفظة ، فالتنوع إذن تنوع في الأسلوب ، لأن المفردة لا تعمل باستقلاليتها، ولكنها تعمل من خلال أسلوب أو تركيب . وبهذا فإنه ينبغي علينا أن ندرس التضاد من خلال منهجين المنهج الإحصائي والمنهج النفسي ، فلا بد من إحصاء هذه المفردات ، وإبعاد الألفاظ التي توهم بأنها من التضاد ، ومن ثم دراسة هذه المفردات في السياقات التي وردت فيها ، ونحللها بعد ذلك وفق المنهج النفسي ، وبالتالي نبين دلالة هذا التضاد في التركيب وأثره على المعنى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التـــرادف

لعل ظاهرة الترادف هي أكثر الظواهر المعجمية التي وقف عليها علمـــاء العربيـــة ، وصنفوا فيها فذهب قوم إلى القول بالترادف ، وذهب آخرون إلى رفض الترادف في العربية . ومن حسن العرض أن نتفق على معنى مصطلح الترادف ، فالترادف هو " دلالة عدة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة . " [١]

ولكن هذا المصطلح لم يرد في مصنفات القدماء قبل القرن الثالث الهجـــري ، مـــع ملاحظة علماء اللغة لهذه الظاهرة وتمثلها في مصنفاتهم أحيانا ، ولكـــن دون تحديـــد مصطلح هذه الظاهرة . وأول ورود لهذا المصطلح كان عند ثعلب فقد أورد السيوطي في المزهر "وقال التاج السبكي في شرح المنهاج : ذهب بعـــض النـــاس إلى إنكـــار المترادف في اللغة العربية ..... وقد اختار هذا المذهب أبو الحسن أحمد ابن فارس في كتابه الذي ألفه في فقه اللغة العربية وسنن العرب وكلامها ونقله عـــن شـــيخه أبي العباس ثعلب . " [٢]

[1]- الجرجاني ، التعريفات ، ص٢١٠ .
[2]- السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص٤٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تعرض سيبويه إلى ظاهرة الترادف وغيرها بقوله : " اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ..فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس وذهب واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو : ذهب وانطلق واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجدة ووجدت إذا أردت وجدان الضالة وأشباه كثير ."[١]

فأخذ عنه العلماء هذه التقسيمات ، وبدأوا في تفصيل هذه التقسيمات . وما يعنينا هنا هو الترادف ومجمل القول أن العرب تنبهوا إلى هذه الظاهرة ، ولكنهم وقفوا مختلفين بين رافض لها ومؤيد لها . ووقع الاختلاف بينهم في تفسير هذه الظاهرة مع انشغالهم بجمع مفردات الترادف أكثر من تعليل هذه الظاهرة وتفسيرها . والناظر في علل مؤيدي الترادف في العربية يجدهم يردونها إلى اختلاف اللهجات العربية،وتنوعها بين القبائل[٢] ، على أن بعضهم اشترط وقوع المفردتين الدالتين على معنى واحد في لهجة قبيلة واحدة لتعدا مترادفتين . ولكن اللغة أُخذت بالإجمال وليست متفرقة ، فما أخذ بالكلية يعلل ويفسر بالكلية .

[1]- سيبويه ،الكتاب ، ج١ ، ص٢٣ .
[2] - انظر ، رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، ص٣١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا جانب وجانب آخر يوجب مراعاة آلية الوضع في اللغة ، و الأصول المتبعة في ذلك ، فهل يعقل في أصل الوضع أن العرب وقبائلها ، كانت تتعمد وضع مفردات متعددة لمعنى واحد أم أن العربي بدقته المتناهية كان يذهب إلى التفصيل الدقيق في وضع المسميات لأدق التفاصيل والجزئيات ، بحيث أنه كان يراقب الموجودات والمحسوسات، فيفرق بينها بمفردات تميز أدق التفاصيل ، ليصل إلى المعنى المراد من المسمى وهو الأصح.

إن العربي بفطنته وفقاهته ، كان يدرك هذه الفوارق في المعنى بين المفردات التي تأتلف منها لغته ، حتى أصبح استخدامه لها من سجيته ومن خاصيته المعجمية " فكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين ، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد ، لأن في ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة منه . " [1]

فلو أننا دققنا في مصنفات من أولعوا بالمترادفات ، لوجدنا أن القوم قد بالغوا كثيرا في تصنيفاتهم ، وأصابها الخلط بين ما قد يعد من الترادف وبين ما قد يعد من غيره، كما حدث مع القاسم بن سلام في مؤلفه الموسوم بالغريب المصنف فقد ذكر في مصنفه

[1]- العسكري ، الفروق اللغوية ، ص١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أبو عمرو : الضَّرِمُ الجائع . أبو زيد : الهَقِمُ مثله وقد هَقِمَ هَقْما . الأحمر : الشَّحَذانُ الجائع أيضا . الأصمعي : المسْحوتُ الجائع .... " [١] والناظر في اللسان يمكنه أن يتلمس الفوارق بين هذه المفردات . فالضرم : غضب الجوع . والهقم : أن يُكثر من الطعام فلا يتَّخِم . والسَّحت : شدة الأكل والشرب مع عدم الشّبع . [٢]

وقد أثار الترادف علماء الأصول والمناطقة ، ولعلهم كانوا أكثر دقة من غيرهم في النظر إلى الترادف ، فقد أخرجوا من الترادف طائفة من الألفاظ كاسم الشيء وصفاته نحو: السيف والصارم والحسام والمهند وعندهم ليس من الترادف الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح وقد سموها (المتباينة المتواصلة) [٣]. وقد وافقهم كثير من اللغويين كابن فارس إذ يقول : " والذي نقوله في هذا : إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الآخر ." [٤]

فالأصوليون كالرازي يرون الترادف هو " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد " [٥] وبهذا فقد أخرجوا الاتباع والتوكيد . والمناطقة يرون الترادف بأنه

---

[1]- أبو عبيد القاسم ، الغريب المصنف ، ج١ ، ص٢٤٣ .
[2] - انظر ، اللسان ، (ضرم) ، (هقم) ، (سحت) .
[3]- انظر ، السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص٣٦٨ .
[4]- ابن فارس ، الصاحبي ، ص٩٧ .
[5]- السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص٤٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما تعدد لفظه واتحد معناه ، وبهذا الشرط تخرج كثير من المفردات التي عدها السابقون من الترادف .

أما أصحاب المنطق الوضعي ، فقد ذهبوا إلى أن مرجع صحة الترادف في الألفاظ هو الواقع اللغوي لا غير ، ومقياس الصواب والخطأ هو الناس أنفسهم وكيف يتفاهمون.[١] وبهذا فإنهم يرون أن القاموس حالة تاريخية . وليس هذا بمسلّم على إطلاقه في لغة معيارية ترتبط بالمقدس وتنزع إلى الثبوت ، وإن يكن الثبوت في العربية نفسها نسبيا وخاصة على مستوى المعجم .

أما المحدثون فقد كانوا أكثر دقة في النظر إلى هذه الظاهرة بسبب تطور الدرس اللغوي وامتلاكهم لأدوات ومناهج لم تعرف من قبل ، الأمر الذي أدى إلى النظرة الموضوعية والعلمية للترادف فقد عرف التهانوي الترادف بقوله : " الترادف لغة ركوب أحد خلف آخر وعند أهل العربية والأصول والميزان هو توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة وتلك الألفاظ تسمى مترادفة " [٢].

[1]- انظر ، زكي محمود ، المنطق الوضعي ، ج١ ، ص١٢٨ .
[2]- التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ج١ ، ص٥٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نرى من الشروط التي وضعها المحدثون لعد المفردة من الترادف الاتحاد في البيئة اللغوية الواحدة ، والاتحاد في العصر ، أي أنهم أخذوا عامل الزمن إضافة إلى الاتفاق في المعنى بين المفردتين المترادفتين .[١]

أما بعض الغربيين كـــ (ليونس) ، فقد اشترطوا الاتفاق التام في المعنى ، إضـــافة إلى إمكاننا الاستعاضة عن هذه المفردة بالمفردة المترادفة دون إخلال بالنص .[٢] وعملـــوا على تقسيم الترادف إلى الترداف الإشاري وهو اتفاق لفظين أو أكثر في المشار إليه ، كأسماء الله الحسنى ، والترادف الإحالي وهو اتفاق اللفظين أو أكثر في المحال عليـــه ، كأسماء السيف ، والترادف الإدراكي وهو اتفاق لفظين أو أكثر في تعبيرهما عن المعنى الإدراكي بصرف النظر عن الاختلافات العاطفية ، نحو : فم وثغر ، والترادف التـــام ووضعوا له شرطين : الأول قابلية التغيير ، والثاني التطابق في المـــضمونين الإدراكـــي والعاطفي . وبهذين الشرطين يصعب وجود مثل هذا الترادف .

وبهذا نرى أن مفهوم الترادف في النظر اللساني الحديث قد اتسع وتشعب .

[1]- انظر ، في اللهجات العربية وفصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب ، ص٣٢٢ .

[2] - see: Introduction to theoretical linguistics p447 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الباحث أنه لا بد من الارتكاز على ثلاث ركائز لحل مشكلة الترادف ؛ أما الركيزة الأولى فهي : المعنى المعجمي وأما الركيزة الثانية فهي : الصوت وأما الركيزة الثالثة فهي : البلاغة . فالباحث يجد اختلافا دقيقا بين مفردات المعجم وأن هذا الاختلاف جاءت به العربية لتكون دقيقة في الوصف ، وتحقق درجة عالية من تحديد المعنى ، والمتبصر بالمعاجم العربية يمكن له أن يلاحظ هذه الفروق المعجمية ، إضافة لبعض الفوارق البراغماتية التي لم توفق المعاجم العربية في ذكرها و وصفها توصيفا دقيقا ، ولكننا نلحظ بعض الإشارات هنا وهناك . فليس من المعقول بأن العربية أوردت هذا الكم الهائل من المفردات لمجرد التنويع

فقط " ففي ظل مبدأ نسبية الدلالة يندر أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقا كاملا ، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات ، لا أكثر ولا أقل ، فالألفاظ المترادفة هي بهذا المعنى ذات الدلالات المتقاربة . " [1]

وعليه فإنه يتوجب على اللغوي أن يتبصر في هذه الفوارق الدقيقة بين المفردات ، وأن يتبين ما تحدثه هذه الفوارق من جماليات في المعنى ولكن دون تكلف . والملاحظ أنه بعد إعادة النظر في كثير من المفردات ، وإخراجها من دائرة الترادف – عند من

[1]- محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ص٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقولون بالترادف – نجد التفريق بين المفردات يسيرا ، ويسهل علينا فهم معاني هـــذه المفردات بشكل أدق ، نحو تفريق العربي بين مراتب الجوع ، ومراحل الحب ...الخ

أما في الجانب الصوتي، فإننا نعد المفردة من الترادف ، إذا حققت التقارب الـــصوتي بحيث يتضح لنا أن هناك قلبا صوتيا واضحا ، وأن المفردتين تحملان المعنى نفسه تماما مع ذكر الشواهد على المفردتين المتقاربتين صوتيا . وعليه فإن الباحث مع من استبعد فكرة الترادف إلا إذا كانت المفردتان متفقتين في الصوت ولكن حدث قلب صوتي أو إبدال صوتي ، إضافة لتطابق المعنيين مع وجود الشواهد على هاتين المفردتين . ومثال ذلك : الحَبْتَرُ والبُحْتُرُ وغير ذلك .

أما في التصنيف المعجمي ، فإننا نذكر في البداية معنى المفردة الـــتي تـــأتي أولا تبعـــا للترتيب الهجائي ، أما التقاليب الصوتية الأخرى فإننا نذكرها في أبوابها على أن نحيل القارئ أو الباحث عن المعنى إلى معنى المفردة التي وردت أولا .

أما في ركيزة البلاغة ، فنرى العربي ، لافتنانه بالبلاغة ، لجأ إلى استخدام المجاز كثيرا ، معطيا المفردات دلالات جديدة ، بحسب السياقات المستعملة فيها ، فكأنه قد تنبه على ما تملكه المفردة من قدرة ذاتية في التعامل مع السياق وغيره لتوليد معان دلالية متعددة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يمكن فهم هذه الدلالات من خلال النظرة المجردة لمعنى المفردة المعجمي ، ولكن بالنظرة المركبة وأقصد بالمركبة هنا ؛ المعنى المعجمي والمعنى السياقي فبمثل هذه التركيبة تتكون عندنا الصورة الواضحة لمعنى المفردة ، وتتولد عندنا دلالات جديدة وإيحاءات " وأما الأقاويل العفيفة المديحية فهي الأقاويل التي تؤلف من الأسماء المبتذلة ومن الأسماء الأخر أعنى المنقولة الغريبة والمغيّرة واللغوية ، لأنه متى تعرى الشعر كله من الألفاظ الحقيقية المستولية كان رمزا ولغوا ، ولذلك كانت الألغاز والرموز هي التي تؤلف من الأسماء الغريبة أعني

بالغريبة : المنقول ، والمستعار ، والمشترك واللغوي والرمز واللغز هو القول الذي يشتمل على معان لا يمكن أو يعسر اتصال تلك المعاني التي يشتمل عليها بعضها ببعض حتى يطابق بذلك أحد الموجودات . " [١] . ويمكننا التفريق بين المعنى المعجمي للمفردة والمعنى المجازي لها من خلال النظر إلى المعاني الجزئية للمفردة وعلاقة هذه المعاني بالسياق مستحضرين قول ابن جني: " الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان ضد ذلك . " [٢]

[1]- ابن رشد ، فن الشعر لأرسطو ، (تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر) ص٢٤٣ .
[2]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص٤٤٢ . وانظر ، ابن فارس ، الصاحبي ، ص٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنه عند غاية النهاية نؤكد ما ذهب إليه البحث من استبعاد القول بالترادف في اللغـــة العربية ، إلا ما كان فيه تبادل صوتي أو انقلاب صوتي مع التدليل على ذلك بشواهد ، فإن حصل ذلك قلنا : بأن المفردتين مترادفتان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الــفصــل الثــانــي

الــصــوت

مقدمة :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للصوت تعريفان : تعريف عام ، وخاص (بالصوت الإنساني) ؛ فالصوت " ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها . فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز . " [١]

ويعرفه تمام حسان الصوت بالمعنى العام (الذي يشمل اللغوي وغير اللغوي) بأنه " الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا . " [٢]

أما الصوت الإنساني فهو " ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة ؛ فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة ، فَيُحْدِث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن ." [٣]

ويسمي سيبويه الصوت بالحرف وذلك قوله : " هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . " [٤] ويعرفه ابن جني بأنه " عَرَضٌ يخرج مع النّفَس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم

---

[1]- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٦ .
[2]- تمام حسان ، مناهج البحث العلمي ، ص٦٧ .
[3]- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٨ .
[4]- سيبويه ، الكتاب ، ج٤ ، ص٤٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا . " [١]

وهذا تأكيد على أن مصطلح الصوت عندهم عرف بالحرف .

ويعرف السيوطي الصوت بأنه : " ما خرج من الفم إن لم يشـــمل على حرف فصوت . " [٢] فعنده أن الصوت هو ما يصدر عن الإنسان بغير الأصـــوات العربيـــة والتي أطلق عليها اسم الأحرف عند كثير من علمائنا الأوائل .

أما المحدثون فيعرفونه بأنه " أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق . " [٣]

فالصوت هو أحد العناصر الدلالية اللغوية . وقد اعتنى علماء العربية بدراسة الصوت اللغوي عناية تكاد تضعهم في السابقين في الدراسات الصوتية التي تعد جـــزءا مـــن الدرس اللساني . وإنما نقصد في هذا المقام أن نتبين أهم عناصر المنظومة التي يـــأتلف منها الدرس الصوتي في تحقيق الدلالة .

فائتلاف الأصوات بالطرق المختلفة والممكنة وضمن نظام صوتي ما وتبعا لقواعد كل لغة ، يمثل دلالة قوية على أن مثل هذا الائتلاف الصوتي ، يحمل دلالة معينة ، وعليـــه

[1]- ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص٦ .
[2]- السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج٢ ، ص٢ .
[3]- كمال بشر ، الأصوات العربية ، ص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنه يتوجب علينا أن ننظر لهذا النَّظْم الصوتي من غير جانب ، فليس شرطا أن يغـــير تعدد النظم الصوتي في الدلالة ، إذ إننا نلحظ تغييرا في تبدل المواقع الصوتية كالإعلال والإبدال ولكن دون تغير في الدلالة وبهذا يخرج هذان النوعان من الدرس الصوتي من بحثنا هذا . فما يعنينا هنا التغير الصوتي أو التشكل الصوتي الذي بتغيره تتغير الدلالة .

التشكيل الصوتي ونظرية القيمة الدلالية للصوت :

للصوت وظيفة يؤديها إذا خضع لقواعد معينة تعنى بالصوت وأدائه ، وعليه فـــإنني في هذا الباب سأنظر في القيمة الدلالية للصوت ، ولا أنظر في دراسة الصوت نفسه . أي أنني سأعتني بالتشكيل الصوتي وما يُحدث من تغيير في الدلالة .

فالتشكيل الصوتي " يخضع لقواعد معينة في تجاورها وارتباطاتها ومواقعها وكونهـــا في هذا الحرف أو ذاك وإمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك وكثرة ورودها وقلّته . ثم دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات (الصحاح والعلل) من حيث هـــي ، بـــل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة ، كالموقعية والنبر والتنغيم . ودراسة الأصوات من هذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النواحي الأخيرة دراسة لسلوكها في مواقعها ، أكثر مما هي دراسة للأصوات نفسها وتلك هي دراسة التشكيل الصوتي . "[١]

فالتشكيل الصوتي يحمل قيمة دلالية ، إن فقهنا الدرس الصوتي ، وعرفنا كيف تنتظم هذه التشكيلات الصوتية بطرق متعددة ، ولماذا تنتظم بهذا النسق . والسؤال هنا ما القيمة الدلالية التي تحققها التشكيلات الصوتية المتعددة ؟

إن المتكلم يقصد أحيانا تشكلا صوتيا بعينه ، ليحقق معنى معينا ومحددا يقصده ولا يكون له ذلك ، إلا إذا عرف كيف يستخدم الصوت استخداما يقصد فيه ذلك التشكيل الصوتي ذاته ، مع مراعاة أن بعض هذه التشكيلات الصوتية تأتي من خلال الفطرة اللغوية ، التي تصاحب النمو اللغوي عند الإنسان ، وعليه فسأتناول في هذا الفصل أهم الظواهر الصوتية التي يمكن لها أن تحدث تغييرا في المعنى في دلالة الصوت .

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني :

ويندرج تحت هذا العنوان مباحث عدة عرفها العرب ، فابن جني يعدد لنا بعضا منها فيقول : " هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به وأكثر كلام العرب

[1]- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه وإن كان غُفلا مسهوا عنه وهو على أضرب : منها اقتراب الأصلين الثلاثيين .... ومنها التقديم والتأخير ....." [١]

التقديم والتأخير

التبس التقديم والتأخير في أصوات المفردة الواحدة على بعض علماء اللغة ، فذهب بعضهم إلى أن اللفظين اللذين حدث فيهما قلب من أصل واحد ، وذهب البعض الآخر إلى عد كل لفظ منهما مستقلا عن الآخر وليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه يقول ابن جني : " اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم فأمكن ان يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ثم أريت أيهما الأصل وأيهما الفرع .... " [٢]

فابن جني يحدد بأن اللفظين اللذين اختلفت ترتيب حروفهما عنده أصلان وهو القياس أي أن الأصل في اللغة العربية أن نعد اللفظين أصلين مختلفين لأن العربية تملك هذه الخاصية من التنوع اللفظي والذي يحمل معاني مختلفة . ويؤكد ابن جني ذلك بقوله :

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص١٤٥ – ١٤٦ .
[2]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" والقلب في كلامهم كثير وقد قدمنا في أول هذا الباب أنه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها لم يجز العدول عن ذلك بها وإن دعت الضرورة إلى القول بقلبها كان ذلك مضطرا إليه لا مختارا . " [١]

وبهذا فإنه لا يمكن لنا الحكم على كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير بأنهما من أصل واحد بل يجب النظر إليهما على اعتبار أنهما من أصلين مختلفين إلى أن يثبت غير ذلك.

ومن ذلك : (جبذ – جذب) ؛ ورد في اللسان " (جذب) مَدُّكَ الشيء و الجَبْذُ لغة تميم . المُحكَم الجَذْب : المَدُّ . جَذَب الشيء يجذِبُه جَذْبا وجَبَذَهُ على القَلْب واجْتَذَبَه مَدَّه وقد يكون ذلك في العرض . سيبويه : جَذَبَه حَوَّلَه عن موضعه واجْتَذَبه : اسْتَلَبَهُ. وجاذَبْتُه الشّيء نازعْتُه إياه والتّجاذُب التّنازع وجَذَب فلانٌ حبلَ وِصاله ، وجَذَمَه إذا قَطَعه ... وجَذَبَ الشهر يجذِب جَذْبا إذا مضى عامّتُه وجَاذَبَت المرأةُ الرجل : خطبها فردّتْه كأنه بانَ منْها مغلوبا والانْجِذاب سرعة السّيْر وجذَب الشّاة والفصيل عن أمها يجْذِبُها جذْبا قطعَهُما عن الرِّضاع ..... " [٢]

وفي النص السابق وردت مفردة (جذم) وفيه تغيير في الصوت الأخير .

---

[1]- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٨٤ – ٨٥ .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (جذب) ، ج١ ، ص٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و(الجذم) " القطع . جذمه جذيم.... والجذم سرعة القطـــع ... " [١] إذن فالجـــذم القطع ، وكأنما أدى اختلاف الصوت الأخير (لام الكلمة) إلى اختلاف المعنى على فرق لطيف وإن اشتركا في المعنى العام .

وفي باب (جبذ) : " جَبَذ جبْذا : لغةٌ في جَذَبَ وفي الحديث : فَجَبَذَني رجلٌ مـــن خلفي ، وظنه أبو عُبيْد مقلوبا عنه ... وجبَذ العنب يَجْبِذُ : صغُر وقَفَّ . " [٢]

وواضح أن جذب أوسع استعمالا من (جبذ) ولعل مرجع ذلـــك إلى تـــشكيلها الصوتي .

فهي على هذا الائتلاف الصوتي أسهل نطقامن (جبذ) إذ إن نسق الترتيب النطقي أجرى في تتابع الجيم ، فالذال فالباء منه في صوت تتابع الجيم فالباء فالـــذال ؛ إذ إن الانتقال من الجيم (وهو غاري) إلى الذال (وهو أسناني) فالباء (وهو شـــفوي) ووفقا لنظرية الميل إلى السهولة أدى إلى التدرج من القفز إلى الباء والارتداد إلى الذال. ولعل في ذلك تفسير كثرة تصرف (جذب) ، فإن تصاريفها تجري على هذا النسق أيضا .

ومن ذلك : (حمت) و (محت)

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (جذم) ج١٢ ، ص٨٦ .
[2]- المصدر نفسه ، باب (جبذ) ، ج٣ ، ص ٤٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" (حمت) : يوم حَمْتٌ بالتسكين : شديد الحَر وليلة حَمْتَةٌ ويوم مَحْتٌ وليلة مَحْتَةٌ. وقد حَمُتَ يومُنا بالضم إذا اشتد حرُّه . وقد حَمُتَ ومَحُتَ كل هذا في شدة الحر . أبو عمرو : الماحِتُ اليوم الحارّ . أبو عمرو : الحامِتُ التمرُ الشديدُ الحلاوة والحَميت من كل شيء : المَتين ، حتى إنهم ليقولون : تَمْر حَميتٌ ، وعسل حَميت وما أكلتُ تمرا أَحْمَتَ حلاوةً من اليَعْضُوض أي أمتن ... قال رؤبة :

حتى يَبوخَ الغضبُ الحَميت

يعني الشديد ، أي ينكسر ويسكن . والحميت وعاء السَّمن كالعُكَّةِ وقيل : وِعاء السمن الذي مُتِّنَ بالرُّبِّ ... وحَمِتَ الجوز ونحوه : فسد وتغير . والتَّحْموت : كالحميت . " [1]

وفي باب (محت) قال : " عربي مَحْتٌ بَحْتٌ أي خالص ويوم مَحْتٌ : شديد الحر مثل حَمْتٍ . وليلةٌ مَحْتَةٌ ، وقد مَحُتا . والمحْت : العاقل اللبيب وقيل : المُجتمِعُ القلب الذَّكِيُّهُ وجمعه مُحُوتٌ ، ومُحَتاء كأنهم توهّموا فيه مَحيتا كما قالوا : سَمْحٌ وسُمَحاء. والمحْت : الشديد من كل شيء . " [2]

وبيّن أن دلالة (حمت) أكثر تنوعا ووجوها .

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (حمت) ، ج٢ ، ص ٢٥ .
[2]-المصدر نفسه ، باب (محت) ، ج٢ ، ص٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ورد في اللسان (بَحْت) وهو :" الخالص من كل شيء ، يقال : عربي بَحْتٌ وأعرابي بحت وعربية بَحْتَةٌ كقولك مَحْض . وخمر بحت وخمور بَحْتَةٌ ... وأكل الخبز بَحْتا : بغير أُدم . وأكل اللحم بحتا : بغير خبز . ، والبحْت : الصَّرْفُ . وشراب بحت: غير ممزوج . البحت : الخالص الذي لا يُخالِطُه شيء . " [1]

وهكذا تفترق المعاني لافتراق أصوات في المباني ، بل افتراق صوت عن صوت وإن اتحدا مخرجا كافتراق الميم والباء في (محت) و (بحت) .

الاشتقاق الأكبر

لا يمكن لمفردتين في العربية أن تتطابقا تماما في المعنى ، فالأصل أن تتمايز المعاني لتمايز المباني . فإذا تقاربت المباني بأن قامت على أصوات مشتركة ، ولكن بترتيب مختلف جاءت على معان متقاربة – يمكن تسميته (المجال الدلالي العام) – ولكنها متمايزة وفقا لتباين ترتيب الأصوات . وذلك مذهب ابن جني في الاشتقاق الأكبر ، يقول ابن جني: " هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ؛ غير أن أبا علي – رحمه الله – كان يستعين به ويُخلِد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر . لكنه مع هذا لم يسمِّه ، وإنما كان

[1]- ابن منظور ، اللسان ، باب (بحت) ، ج٢ ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتاده عند الضرورة ويَسْتَرْوِح إليه ويتعلّل به . وإنما هذا التلقيب لنا نحن . " [١] وذلك " أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك (عنه) رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه . " [٢]

والناظر في قول ابن جني يجد أن هناك معنى عاما يمكن أن تجتمع عليه بعض المفردات. شريطة أن تكون من أصول التقاليب الستة . ومع ذلك فهي لا تتطابق في المعنى المعجمي أو السياقي . والفائدة من هذا أننا يمكن أن نتعامل مع المفردات بدقة أكبر ، مع وجود مرونة في عملية النظم ، الأمر الذي يعطي للعربية مرونة في التعبير ودقة في تحديد المعنى مع التأكيد على أن العربية لغة اشتقاقية ، وأنه يمكن استخدام مثل هذا الاشتقاق للتعابير المتعددة عن المعاني المتعددة ، وهذا بدوره يعطي لمتكلم العربية القدرة الكبيرة على التعبير عن لطائف المعاني المقصودة المعنى أو في أداء المعنى على وجه دقيق.

ويتخذ ابن جني لذلك مثالا من الثلاثي المؤلّف من الجيم والراء والباء ، ويعرض لتقاليبه ووجوه المستفاد بها وهي :

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص ١٣٣ .
[2]- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ج ب ر) ،(ج ر ب)،(ر ج ب)،(ر ب ج)،(ب ج ر) ، (ب ر ج) .

فَمِن (ج ب ر) " الجبار : الله عزّ اسمه القاهر خلقه على ما أَراد من أمر ونهي ..... وقيل الجبّار العالي فَوق خَلْقِه . والجبار المتكبر الذي لا يرى لأَحد عليه حقّا والجبار من الملوك : العاتي . ورجل جبار مُسَلّط قاهر . ونخلة جَبَّارَة أي عظيمة سمينة . والجبر خلاف الكسر ، جبر العظم والفقير واليتيم ... " [1]

ومن (ج ر ب) " الجرب معروف بَثَرٌ يَعلو أبدانَ الناس والإبل . والجرب كالصَّدَأ يعلو باطن الجَفْن وربما أَلْبَسَه كله وربما ركب بعضه . والجَرْباء السماء سُمّيت بذلك لما فيها من الكواكب والجرباء الجارية المَليحة . والجِرْبَة كل أرض أُصْلِحت لزرع والجِرْبة : البُقعة الحسنة من النبات ورجل مُجَرَّب : قد بُلِيَ ما عنده ومُجَرِّب قد عرف الأمور وجربها . والجَرَبَّة : بالفتح وتشديد الباء : جماعة الحُمر ، وقيل : هي الغلاظ الشداد منها ويقال للأقوياء من الناس إذا كانوا جماعة متساوين . " [2]

ويورد من (ب ج ر) " البَجَر بالتحريك : خروج السُّرّة ونُتُوُّها وغِلَظُ أصْلها وَبَجَرَ بجرا فهو أبجر إذا غَلُظ أَصْل (سُرّته) فالتحَمَ .... والأبجر العظيم البطن ..... فأصبحوا بأرض بَجْراء أي مرتفعة صُلبة ...و البجاري والبجارى : الدواهي والأمور

[1]- ابن منظور ،لسان العرب، باب (جبر) ، ج٤ ، ص١١٣ .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (جرب) ج١ ، ص٢٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العظام ، وأبْجَر الرجل إذا اسْتَغنى غِنىً يكاد يُطغيه بعد فقر كاد يكفره ... البَجير المال الكثير . " [١]

ومن (ب ر ج) " البَرَجُ تباعدُ ما بين الحاجبين وكل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ وإنما قيل للبروج بُروج لظهورها وبيانها وارتفاعها ، والبَرَجُ سَعة العين في شدة بياض صاحبها . والبُرْج : واحد من بروج الفَلك وهي اثنا عشر برجا . والبُروج الحصون ، والبارج: الملاّح الفارِهُ . " [٢]

ومن (ر ب ج) " ورجل رَباجِيٌّ : يفتخر بأَكثر من فعله .... فسأَلته عن الرابج فقال : الممتلئ الرَّيّان .. وهو الكثيف الممتلئ . " [٣]

ومن (ر ج ب) " رَجَب الرجلَ رَجَبا ورَجَبَهُ يَرْجُبه رَجْبا ورُجوبا ورَجَّبَه وتَرَجّبَه وأَرْجَبَه كله هابَه وعظّمه فهو مَرْجوب . وأنشد شمر :

أَحْمَدُ ربي فَرَقا وأَرْجَبُهْ

[1]- المصدر نفسه ، باب (بجر) ، ج٤ ، ص٣٩ .
[2]- المصدر نفسه ، باب (برج) ، ج٢ ، ص٢١١ .
[3]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (ربج) ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي أُعَظَّمُه ومنه سمي رَجَبٌ ورَجَبٌ : شهر سموه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال فيه . والتَّرجيب : التعظيم . أبو عمرو : الرّاجِب المُعَظِّم لسيده ، ورَجّبَ النخلة: كانت كريمة عليه فمالت ، ورَجِب فلان مولاه أي عَظَّمَه ." [1]

والمتبصر بالتقاليب الستة السابقة يجدها تجتمع بالعموم تحت معنى القوة والعظمة والمكانة العلية إلا أن لكل كلمة معناها الخاص بها واستخداماتها المحددة ولا يمكن لكلمة أن تحل محل أختها في هذه المجموعة ، إلا أن هناك معنى عاما ، يربط بين هذه المفردات ، ثم تأخذ كل كلمة معنى خاصا بها ، وعلى الناطق بالعربية أن يميز بينها في الاستخدام والتعبير وأن يضع كل كلمة موضعها الخاص بها . فالفائدة من هذا المبحث هو التعرف الدقيق على المعاني في العربية بين المفردات التي تحتوي على مثل هذه التقاليب ، وهي بذاك مطلب لتحقيق الدلالة بدقة متناهية . تلك الدقة المتأتية باختلاف النسق الصوتي الناشئ عن إعادة ترتيب الأصوات في المفردة . وهذا يؤكد اختلاف قيم الأصوات بحسب تبدل مواقعها في المفردة الواحدة .

وهذا مبحث يمكن للدارسين استقصاؤه ، وهذا لا يعني أن مفردات العربية كلها تقوم على مثل هذه التقاليب ، إلا أنها ظاهرة يمكن ملاحظتها ودراستها وتبيان مالها من

[1]- المصدر نفسه ، باب (رجب) ، ج١ ، ص٤١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دور في إظهار المعنى بدقة وجلاء . " وهو لا يدعي أن ذلك عام في اللغة مطرد فيهـــا ولكنها ظاهرة تستحق أن يتأملها دارس اللغة فلو اتفق للقائل بهذا مثال واحد من المثل التي تقلب على ستة أوجه وكان بينها فيه جامع كان حريا بأن يستدر الإعجاب . " [١]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[1]- حسام النعيمي ، ابن جني عالم العربية ، ص٨٢ .

اختلاف الصوت المفرد

يرى البعض أن اختلاف صوت في المفردة قد لا يحدث تغييرا دلاليا في الكلمة ، وإنما هي تحولات نطقية ، كان لعامل الزمن أثر كبير فيها . فالمسألة لا تعـــدو أن تكـــون لهجات أو تحولات نطقية نتيجة للتطور التاريخي لنطق المفردة . لكن الأمر ليس كذلك على إطلاقه . بل أوسع من ذلك مدى ، والناظر في المعجم العربي يمكن أن يتبين ذلك بوضوح . وقد تنبه عليه ابن جني ، وضرب له أمثلة عدة : " من ذلـــك قـــول الله سبحانه (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكـــافرين تـــؤزهم أزا) . أي تـــزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزُّهم هزا . والهمزة أخت الهاء فتقارَب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خَصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء . وهذا المعنى أعظم في النفـــوس من الهزّ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساقِ الشجرة ونحو ذلك ." [١]

وفي لسان العرب (أزز) " أَزّت القِدْر تَؤُزُّ وتَئِزّ .... إذا اشتد غلیانها ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أَزيزٌ كأزيز المِرجَل من البكـــاء يعـــني يبكي ؛ أي أن جوفه يَجيش ويغلي بالبكاء . وأزّ بها أزا أوْقَد النار تحتها لتغلي . أبـــو

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبيدة : الأزيز الالتهاب والحركة ، كالتهاب النار في الحطب ، والأزيز صوت الرعد من بعيد . والأَزّ التَّهْييج والإغْراء ، وأَزّه يَؤُزُّه أزا : أغراه وهيجه ، قال الفـــراء : أي تُزْعِجُهم . وفي الحديث كان الذي أز المؤمنين على الخروج ابن الزبير ، وأز الـــشيء يؤزه إذا ضم بعضه على بعض . " [1]

- (هزز) (هزا) " الهَزّ : تحريك الشيء والعرب تقول : هَزّه وهَزّ بـــه إذا حَرَّكَـــه الشيء هَزا فاهتزّ أي حركته فتحرّك . اهتز العرش : أي فرِح . قال ابن الأثير : الهز في الأصل الحركة واهتز إذا تحرك فاستعمله على معنى الارتياح ..وفي حديث عمر رضي الله عنه : فانطلقنا بالسِّقْطَيْن نَهُزّ بهما أي نسرع السير بهما. واهْتَزّ النبـــات : تحـــرّك وطال . وهزّتْه الرّيح والرِّيّ حَرَّكاه وأطالاه . والهز والهزيز في السير : تحريك الإبل في خفتها . وقد هزها السير وهَزّها الحادي هَزيزا فاهْتزّت هي إذا تحركـــت في ســـيرها بِحُدائه . قال النضر : يهتز أي يسرع . ابن سيده : الهِزَّةُ أن يتحرك الموكِب وقد اهتز وهزيز الريح : دَوِيّها عند هزّها الشجرَ ... وهزيز الريح : صوت حركتـــها ..... والهزة : صوت غليان القدر . " [2]

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (أزز) ، ج ٥ ، ص٣٠٧ .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (هزز) ، ج٥ ، ص٤٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تناول المفسرون هذه الآية بالتفسير ، فمنهم من فرق بين الأز والهز ، ومنهم من لم يفرق فيذهب الطبري إلى القول : " تؤزهم : يقول تُحَرِّكهم بالاغواء والإضلال فتزعجهم إلى معاصي الله وتغريهم بها حتى يواقعوها . (أزا) : إزعاجا وإغواء ، حدثنا علي قال : ثنا عبد الله قال : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس . قوله (أزا) يقول : تغريهم إغراء ، وسمعت أزيز القدر وهو صوت غليانه على النار . " [١]

ونرى هنا أن الطبري قد عرض لكثير من أقوال العلماء في معنى (أزا) إلا أنه لم يعقد مقارنة لغوية بين (أز) و (هز) .

أما أبو جعفر النحاس فيقول : " أززت الشيء أؤزه أزا وأزيزا أي حركته " [٢].

ويذهب الزمخشري إلى القول " الأز والهزّ والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدّة الازعاج أي : تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات . " [٣]

ويقول محمد الأمين الشافعي :" (أزا) أي تهيجا شديدا بأنواع الوسواس والتسويلات فإن الأز والهز والاستفزاز أخوات معناها : شدة الازعاج وفي العيون الأز في الأصل هو الحركة مع صوت متصل من أزيز القدر اي : غليانه . " [٤] ونلاحظ من القول

[1]- الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج١٦ ، ص١٢٥ – ١٢٦ .
[2]- النحاس ، معاني القرآن ، ج٤ ، ص٣٦١ .
[3]- الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ ، ص٤٢٣ .
[4]- محمد الأمين الشافعي ، تفسير حدائق الروح ، ج١٧ ، ص٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السابق أن المفسر ذهب إلى أن الهز والأز والفز بمعنى واحد إلا أن الأصل عنده هو الأز مع عدم تبيان الأدلة أو مناقشة الأقوال الأخرى .

ويذهب الشنقيطي إلى القول : " (تؤزهم أزا) : الأز والوهن والاستفزاز بمعنى ومعناها التهيج وشدة الازعاج فقوله (تؤزهم أزا) أي تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصي . " [١]

وبعد هذا الاستعراض فإن الباحث يرى أن هناك فرقا بين (هز وأز) إذ إن الفرق يكمن في المعاني الدقيقة فالهز إذا كانت هناك حركة دون أن تحمل هذه اللفظة معنى نفسيا وهو (الزن المستمر ، الإلحاح) إضافة إلى أن مثل هذه المفردة لا تحمل معنى الاضطراب كما تحمله معنى (أز) فالأز تحمل معاني نفسية تحاكي البشر فلا يصلح المعنى لو قلت : (تهزهم هزا) وكأن الهز يحمل معنى حركة الجسد وليس معنى حركة النفس أي الضغط على شيء معنوي والهز يكون لشيء مادي إضافة إلى أن (الأز) تحمل معنى الاستمرارية ما دامت على هذه الحالة أما الهز فلا تحمل مثل هذا المعنى إذ

[1]- الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٤ ، ص٣٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي أقرب إلى دلالة الانقطاع ، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " [١]

فالهز هنا جاء لشيء مادي وليس لشيء معنوي . والأز كما لاحظنا يصدر عنه صوت مضطرب أما الهز فيصدر عنه صوت لا اضطراب فيه ، وقد يكون الهز من الفرح والسعادة أما الأز فلا يكون في الفرح . والله أعلم .

الاختلاف في فاء الكلمة :

ويفترق اللفظان في حرف فيفترق معنياهما على وفق ذلك ، ومثاله :

(أرشت و هرشت)

- (أرشت) في لسان العرب " أَرَّش بينهم : حَمَل بعضَهم على بعض وحَرّش والتَّأريش التّحريش قال رؤبة :

أَصْبَحَت من حِرْصٍ على التَّأْريش

وأَرّشْتُ بين القوم تَأْريشا : أَفسدت . وتأريش الحرب والنار تأريشهما . والأَرْشُ من الجِراحات . وقد تكرر في الحديث ذكر الأَرْش .. والمأْروش المخدوش . والأرش :

[1]- سورة مريم ، الآية : ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدِّيَةُ . الأَرْش الرشوة والأرش من الجراحات كالشَّجَّة ونحوها . وأهل الحجاز يسمونه النَّذر وكذلك عُقْر المرأة ما يؤخذ من الواطئ ثمنا لبُضْعها ..... أَرَّشْتُ بين الـــرجلين إذا أَغْريت أحدهما بالآخر وأوقعت بينهما الشّرّ فسمي ما نقَص العيبُ الثوب أرشا إذا كان سببا للأَرْش . " [١]

(هرش) " رجل هَرِشٌ : مائق جاف . والمُهارشَة في الكلاب ونحوها : كالمهارشـــة هارش بين الكلاب ، وأنشد : جِروا رَبيض (هورِشا) فَهَرّا .

والهِراشُ والاهتِراش : تقاتل الكلاب ، وهو تحريش بعـــضها علـــى بعـــض ... وفي الحديث يتهارَشون تهارُشَ الكلاب أي يَتَقاتلون ويتواثَبون .. والتهارُش الاختلاط .

أبو عبيدة : فَرَس مُهارِش العِنان وأنشد :

مُهارِشة العِنان كأنّ فيها جَرادةَ هَبْوةٍ فيها اصفِرار

قال الأصمعي : فرس مُهارِشة العِنان خفيفَة اللّجام كأنها تُهارِشُه . " [٢]

من هذا المثال نجد معنيين الأول خاص بالإنسان وهـــو (الأرش) والثـــاني خـــاص بالحيوان وهو (الهرش) . وما تحمل كلمة (أرش) من معان فهي للإنسان فالإفساد

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (أرش) ، ج٦ ، ص٢٦٣ .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (هرش) ، ج٦ ، ص٣٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الناس لا يقوم به إلا الإنسان ، والرشوة لا تكون إلا بين البشر وجراحات الإنسان سميت (أرشا) . وهذا يؤكد أن العربية قصدت هذه الألفاظ بهذا التركيب الصوتي. وليس الأمر تطورا تاريخيا للفظة أو أن قبيلة استخدمت هذه اللفظة وأخرى استخدمت لفظة غيرها .

وقريب من المفردتين السابقتين : (أش) و (هش)

ففي مادة (أش)" الأَشُّ والأَشاش والهَشاش: النشاط والارْتياح ، وقيل: هو الإقبال على الشيء بنشاط... وأَشَّ القوم يَؤُشُّون أَشّا : قام بعضهم إلى بعض وتَحركوا ... أش على غنمه يَؤُشُّ أشا مثل هَشّ هشّا .... " [1]

وأما في مادة (هش) " الهَشّ والهَشيشُ من كل شيء : ما فيه رَخاوَةٌ ولين ، وشيء هَشٌّ وهَشيش وخبزة هشة رِخوة المَكسَر ... والهشاشة:الارتياح والخِفَّة للمعروف."[2]

في المفردتين السابقتين نجد أن اختلاف الصوت أدى إلى اختلاف المعنى ، فالأش ليس الهش بشكل متطابق ؛ إذ الأش النشاط والارتياح والطلاقة والبشاشة ، أما الهش فهي الرخاوة واللين والارتياح بخفة وهذا معنى خاصّ مختلف ؛ فقد يكون المرء نشيطا مقبلا على عمله ، ولكن ليس فيه رخاوة أو لين ، أما الهشاشة فإنها تحمل معنى إضافيا وهو

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (أشش) ، ج٦ ، ص٢٦٤ .
[2]- المصدر نفسه ، باب (هشش) ج٦ ، ص٣٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللين ، وانظر إلى قوله تعالى (قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) [1] فالغنم تحتاج إلى اللين والرخاوة في الرعي و لم تذكر الآية (أُشّ) لأن (أهش) أدق في المعنى لما تحمله من معنى إضافي دقيق .

الاختلاف في عين الكلمة :

ومثله افتراق المعنى بين لفظين اختلفت عيناهما واتحدا في الفاء واللام ونحو ذلك :

(حبس – حمس)

ففي مادة (حبس) " حَبَسَه يَحْبِسُه حَبْسا فهو مَحبوس والحَبس ضِدّ التخلية وإبل مُحْبَسَةٌ داجِنَة كأنها قد حُبِست عن الرعي ... وفي حديث الحديبية حَبَسها حابِس الفيل .. وزق حابس ممسك للماء . وفي حديث الزكاة : أن خالدا جعل رَقيقَه وأَعتُدَه حبيسا في سبيل الله أي وقفا على المجاهدين." [2]

أما في مادة (حمس) " حَمِس الشّرُّ : اشتدّ وكذلك حمش . واحْتَمس الديكان واحتَمَشا واحتَمَس القِرنان واقتتلا . والتحمس : التشدد ، تحمس الرجل إذا تعاصى، وفي حديث علي كرم الله وجهه : حمِسَ الوغى واسْتَحَرّ الموتُ : أي اشتدّ الحر . حَمِسَ الأمر حَمَسا : اشتد . تَحامس القوم تحامُسا وحماسا : تشادّوا واقتتلوا.

---

[1]- سورة طه ، الآية : ١٨ .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (حبس) ، ج٦ ، ص٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمُتَحمِّس : الشديد والأحمس أيضا : المتشدِّد والحُمْسُ : قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون . وأحماس العرب أمهاتهم من قريش . " [١]

فالفرق بين المفردتين واضح ولا يمكن للمفردتين أن تتلاقيا في المعنى . فالمفردتان تحملان معنيين مختلفين تماما فالحبس ضد التخلية إذ فيه معنى التقيد وعدم الحركة والسكون ، بعكس الحمس ففي هذه المفردة الشدة وأعلى درجات الحركة ، والنكتة في هاتين المفردتين أن اختلاف الصوت بينهما أدى إلى إعطاء معنيين مختلفين ، مع وجود علاقة بينهما فالحبس أفاد السكون وعدم الحركة ، والحمس أفاد الحركة الشديدة وهما يشتركان في حالة الحركة ووصفها .

الاختلاف في لام الكلمة :

وذلك إذا تجانسا في الفاء والعين واختلفت اللام في كل منهما ونحو ذلك :

- (دحل – دحن)

" وبعيرٌ دَحِلٌ ودَحِنٌ كثيرُ اللّحم والرَّجُلُ مِثْلُهُ . " [٢]

ففي مادة (دحل) " الدَّحل : نَقْب ضَيّق فَمُه ثم يَتّسع أَسفله حتى يُمشى فيه ، ورُبّ بيتٍ من بيوت الأعراب يجعل له دَحْل تدخل فيه المرأة إذا دخل عليهم داخل . وفي

[1]- المصدر نفسه ، باب (حمس) ج٦ ، ص٥٧ .
[2]- الزجاجي ، الإبدال والمعاقبة ، ص٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا سأله فقال له : إني رجل مِصْراد ، أَفأُدخِلُ المِبوَلة معي في البيت ؟ قال : نعم وادْحَل في الكِسْر ... قال أبو عبيد : فشبّه أبو هريرة جوانب الخباء ومداخله بالدّحْل ... وأخبرني جماعة من الأعراب أن دُحْلان الخَلْصاء لا تخلو من الماء ، ولا يُستقى منها إلا للشفاء . والدّحْلة : البئر والدَّحول : الرَّكِيّة التي تُحفر فيوجد ماؤها تحت أَجْوالها . وبئر دَحُول ذات تَلَجّف في نواحيها وقيل : بئر دحول واسعة الجوانب . والدَّحِل من الرجال : المسترخي ، وقيل العظيم البطن . أبو عمرو : الدَّحِل والدَّحن البطين العريض البطن ، والدَّحِل الداهية الخداع للناس الخبيث . الأزهري : الدَّحِل والدَّحِن الخَبُّ الخبيث . " [1]

وفي مادة (دحن) : الدَّحِن : الخِبّ الخبيث كالدَّحِل وقيل : الداهي ، وقيل الدَّحِن المسترخي البطن ، وقيل : العظيمة ، وقيل : الدّحِن والدِّحَن السمين المندلق البطن القصير . وبعير دِحِنّة ودِحْنونة : عريض وكذلك الناقة والمرأة . " [2]

فالمعنى المشترك بين (دحل) و (دحن) هو الاتساع والعظم . إلا أنهما مع ذلك مختلفتان صوتيا ومعجميا ، ولكل منهما استخداماته اللغوية . فلفظة (دحن) تكاد

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (دحل) ، ج١١ ، ص٢٣٧ .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (دحن) ، ج١٣ ، ص١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقتصر على معنى المسترخي البطن ، أما (دحل) فكانت أكثر شيوعا للنقب الـــذي يتسع بعد فم ضيق .

التقاليب الستة :

وتتفق الأصوات ، ويختلف الترتيب ، فيتحقق اتّفاق على وفق الأصـــوات ، ويـــنجم افتراق على وفق اختلاف النسق ومثال ذلك :

(حلك – كلح – حكل – كحل – لكح – لحك)

ويورد من (حكل) : " الحُكْلة كالعُجمة لا يُبين صاحبُها الكلام . والحُكْلة والحَكيلة : اللُّثغة . قال ابن سيده : الحُكْل من الحيوان ما لا يُسمع له صوت كالـــذّرِّ والنمل ... وحكل عليه الأمر وأَحْكَلَ واحْتَكَل : التَبس واشتبه كعَكَل وأحْكَل على القوم إذا أَبَرَّ عليهم شرا."[١]

ومن (حلك) " الحُلْكة والحُلَكُ : شدة السواد كلون الغـــراب . ويقـــال للأســـود الشديد السواد حالِك ... وأسود مثلُ حَلَك الغراب ... قال أبو زيد : الحَلَك اللون والحَنَك المنقار . " [١]

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (حكل) ، ج١١ ، ص١٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن (كحل) " الكُحْل ما يُكْتَحَل به . قال ابن سيده : الكُحل ما وضع في العين يُشْتَفى به كَحَلها يكحَلُها ويَكحُلها ... والكحَل في العين أن يعلوا منابت الأشفار سواد مثل الكحل من غير كحل وقيل الكَحَل في العين أن تسودّ مواضع الكُحْل وقيل: الكَحْلاء الشديدة السواد ، وقيل : هي التي تراها كأنها مكحولة وإن لم تُكْحَل وأنشد :

كأن بها كُحْلا وإن لم تُكَحَّلِ

وفي صفته صلى الله عليه وسلم ، في عينيه كَحَل ، الكَحَل بفتحتين سواد في أجفان العين خِلقة وفي حديث أهل الجنة : جُرْد مرْد كحْلى . والكحلاء من النعاج : البيضاء السوداء العينين . " [٢]

ويورد من (كلح) " الكلوح : تَكَشُّر في عبوس . قال ابن سيده : الكُلوح والكُلاح بُدُوّ الأسنان عند العبوس كَلَح يَكْلَح كُلوحا وكُلاحا ... وفي التنزيل (تلفح وجوههم

---

[1]- المصدر نفسه ، باب (حلك) ، ج١٠ ، ص ٤١٥ .
[2]- اللسان العرب ، (كحل) ، ج١١ ، ص٥٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النار وهم فيها كالحون) قال أبو إسحاق : الكالح الذي قَلَصَت شَفَتُه عن أسنانه نحو ما ترى رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمّرت الشفاء . والكُلاح بالضم : السنة المُجْدِبة يقال : كَلَحَ الرجل وأَكْلَحه الهم ودهر كالح على المثل وكَلاح معدول : السنة الشديدة.وقال ابن سيده: قبح الله كلحته يعني الفم وما حوله . ورجل كولح قبيح . " [1]

وهذا مثل آخر يؤكد أن الأمر لم يكن مجرد أصل واحد للكلمة ثم تغير عبر الزمن أو أنه قلب مكاني حدث للكلمة وإنما هي دقة العربية وبلاغتها (فالحكل) لثغة في الكلام ، و (الحلك) شدة السواد في أصل الشيء وذاته ، أما (الكحل) فهي مادة سوداء مصنعة لتسويد شيئ ما ليس أسود في ذاته لذلك وُصف صلى الله عليه وسلم كأن في عينيه كحل وكذلك وُصف أهل الجنة بأن أعينهم مكحلة ولكنها ليست كذلك إنما هو تشبيه . فالفرق واضح ودقيق في المعنى .

أما (الكلح) فهو تكشير وعبوس وليس هناك معنى في هذه المفردة ليدل على اللون . إنه عند غاية النهاية أقول : بأن اختلاف الصوت المفرد لم يأت عبثا أو مصادفة أو تطورا تاريخيا أو قلبا مكانيا أو غير ذلك وإنما هو قصد في الوضع لتحقيق دقة في التعبير

[1]- المصدر نفسه ، (كلح) ، ج٢ ، ٥٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقدرة على انتقاء الألفاظ وإن كان هناك جانب مشترك في المعنى بين لفظتين فإن هذا الاشتراك غير متطابق وإنما تكون إحدى اللفظتين أعم في الاستخدام في معنى معين إلا أنها تشترك مع لفظة أخرى في معنى واحد أو أكثر إما للبس حدث مع مستخدم اللغة العربية ، أو لتصحيف أصاب المفردة . أما إن صح النقل بأدلة حول هذا المشترك في المعنى فيكون أحد هذه الألفاظ قيل على سبيل المجاز وآخر على الحقيقة .

أما في (لكح) و (لحك) فالأمر مختلف ، والمعنى بعيد عن التقاليب السابقة . ولا يوجد تقارب في المعنى بين هاتين الكلمتين فـ (لكح) " لَكَحَه يَلْكَحُه لَكْحَا : ضربه بيده وهو شبيه بالوَكز . قال : يلهزُه طورا وطورا يَلكَحُهُ وأورد الأزهري هذا غير مُردف فقال :

يلهزه طورا وطورا يَلْكَح حتى تراه مائلا يُرَنّح ." [1]

فاللكح الضرب حتى الترنح ، أما (لحك) " واللَّحْك : والمُلاحكة : شدة التئام الشيء بالشيء وقد لوحِك فتلاحَك .. واللّحْكُ : مداخلة الشيء في الشيء والتزاقه به .." [2]

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (لكح) ، ج٢ ، ص٥٨٤ .
[2]- المصدر نفسه ، باب (لحك) ، ج١٠ ، ص٤٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في العلاقة بين المفردتين فإنها قائمة بالقرب ، فالـــضرب لا يكـــون إلا بـــالقرب والتصاق أداة الضرب بالمضروب . فالتقارب في المعنى لتقارب الصوت ولكنه لـــيس مطردا .

الصوت والمعنى

على أن ما تقدم لا يعني أن العلاقة بين الصوت والمعنى تلقائية أو موجبة بإطلاق . إذ لا يمكننا تفسير أو تعليل مفردات اللغة على هذا الأساس ، وهذا يرد على من قـــال : بالمحاكاة بين الصوت والمعنى " نقل أهل أصول الفقه عن عبّاد بن الـــصيمري مـــن المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع قال : وإلا لكان تخصيص الاسم المعيّن ترجيحا من غير مرَجّح . وكان بعض من يرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيه يقول : إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسُئل ما مُسَمّى (اذغـــاغ) وهـــو بالفارسية الحجر ، فقال : فيه يُبسا شديدا ، وأراه الحجر . " [١]

ومن الطبيعي أن يذهب أهل الاعتزال إلى القول بوجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومعناه وهم مع إقرارهم بهذه العلاقة ينتصرون للفظ على المعنى ، ويعتمدون علـــى اختيـــار الألفاظ وأن لها الأسبقية " إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية،وممتدة إلى غير نهاية ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة محصلة محدودة . " [٢]

وفي رد الجاحظ على أبي عمرو الشيباني يقول : " ذهب الشيخ إلى استحسان المعاني ، والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي و (المدني) وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج ،(وكثرة الماء) وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النـــسج ، وجـــنس مـــن التصوير . " [٣] وعليه فالتمايز عندهم يكون للفظ ولا بد من رابط يربطه بمدلوله .

[1]- السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص٤٧ .
[2]- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٧٦ .
[3] - الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص١٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفلاسفة وعلماء اللغة فكانوا على خلاف ، فمنهم من يرى وجود علاقة ، ومنهم من لا يرى وجود مثل هذه العلاقة ، أما المحدثون فيرى جلهم عدم وجود علاقة بين اللفظ ومعناه .

" إن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية (طبيعية) تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي فليست هناك أية علاقة بين كلمة (حصان) ومكونات جسم الحصان والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الإنسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان . ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أي تقوم على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل ولذا فالرموز اللغوية وسائل اتصال في إطار الجماعة اللغوية الواحدة . " [١] وهذا صحيح إذ لو كانت هناك علاقة مطلقة لكان من المفترض أن تكون اللغات واحدة ولايكون هناك اختلاف كبير بينها. وينظر البعض إلى الأمر من منظور اجتماعي ومن هؤلاء أحمد سليمان الذي يرجع عدم قبول مثل هذا الرأي إلى عامل قومي اجتماعي " إن فكرة الاتفاقية والاصطلاح والتواطؤ كانت تصطدم – على الدوام – بصخرة النعرة القومية والتعصب للجنس إذ

[1]- فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ص١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن بمقدور المتكلمين بلغة ما أن يصدقوا أن لغتهم اتفاقية لا دخل للربط الموضوعي بين الدال والمدلول . " [١]

وإذا انطبق كلام أحمد سليمان على العامة ، فإن اللغويين وذوي الاختصاص يقللـــون من وجود هذه العلاقة بناء على أسس أكثر علمية ومنطقية .

والمدرسة الغربية تذهب مذهب دي سوسير ، وهو القول بأن العلاقة بـــين الـــصوت والمعنى اعتباطية " إن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي – أو بعبارة أخرى – وبما أننا نعني بكلمة دليل المجموع الناتج عن الجمع بين الدال والمدلول يمكننا أن نقول بصورة أبسط إن الدليل اللغوي اعتباطي . " [٢] ووافق سوسير كل من جون ليونز وهوكت .

ويعلل البعض عدم وجود علاقة بين الصوت والمعنى تعليلا صوتيا " فلو أن كل عنصر فونولوجي في اللغة أو في كلمة له علاقة بالمعنى فسوف تكون هناك صعوبات في ربط العناصر الفونولوجية بعضها ببعض . " [٣]

---

[1]- أحمد سليمان ، علاقة الجهر والهمس بالمعاني ، مجلة العلوم الإنسانية ، ص١٥ .
[2]- دي سوسير ، دروس في الألسنية ، ص١١١ – ١١٢ .
[3]- أحمد سليمان ،علاقة الجهر والهمس بالمعاني ، مجلة العلوم الإنسانية ، ص١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا صحيح إلى حد بعيد ولكننا لا نأخذ بعدم وجود علاقة بالمطلق . إذ كيف نفسر بعض العلاقات بين الصوت والمعنى في العربية . وبنظرة متمعنة إلى مفردات العربية نستطيع القول إنه لا علاقة بين الصوت والمعنى بشكل مطرد لأننا نجد ألفاظا كثيرة خاصة في ألفاظ الأفعال بينها علاقة واضحة في المعنى ، ربما لم يقصدها الواضعون هذه العلاقة إلا أننا يمكن أن نتلمسها " يلاحظ في موضع آخر أن اللفظ يكون قويا لقوة المعنى ." [1] فالعلاقة بين الصوت والمعنى ليست ملغاة أو معدومة على الإطلاق، ولكن هناك علاقة بين بعض الألفاظ ومعانيها ، وهنا يأتي دور اللغوي لإبراز مثل هذه العلاقة لتحقيق الدلالة الدقيقة . ولعل العربية تتمتع بمثل هذه العلاقة ، ولكن ليس على الإطلاق ، فهناك كلمات تحمل أصواتها معانيها ولا يمكن أن تكون معظم هذه المفردات من قبيل المصادفة .

ومن أمثلة المفردات التي يسوغ القول إن فيها علاقة ظاهرة بين اللفظ والمعنى :

- (دمدم) : فمن معاني دمدم الغضب . والتحليل الصوتي لها يتناسب مع المعنى فمخرج الدال ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا وهو مجهور أما الميم فتنطبق الشفتان معها انطباقا تاما ويحبس الهواء ويضغط في الفم مع تذبذب للوترين

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج٣ ، ٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصوتيين مع تسكين هذا الصوت . ثم يعاد صوت الدال مرة أخرى الذي ينطلق بقوة من مخرج الميم إلى مخرج الدال فيعاد صوت الميم مرة أخرى ، ولكن مع حركة صائت على الميم.

إن هذا التعاقب بين صوتي الدال والميم أعطى للمفردة نغمة خاصة بها تحمل معناها ومن جماليات أصوات هذه المفردة أنها أعادت الصوتين ولكن بطريقتين مختلفتين ففي المرة الأولى ينطق الصوتان في مقطع واحد ، وفي المرة الثانية كل على حدة ونرى بأن المعنى جاء مطابقا لأصوات المفردة ، فهذه القوة في نطق أصوات هذه المفردة ، يعكس معنى الغضب والذي يؤدي إلى التدمير والتجزئة ، كما هو الحال في تجزئة الصوتين الدال والميم في المرة الثانية.

ومن أمثلة ذلك :

- (اثاقلتم) تحمل معنى الثقل . أما تحليلها الصوتي فهو على النحو الآتي : (الثاء) مخرجه ما بين الأسنان العليا والسفلى وذلق اللسان ، ويقترب طرف اللسان من القواطع العليا ويلامسها بحيث يسمح بمرور الهواء المزفور من خلال منفذ ضيق جدا [1] و(الثاء) صوت مهموس لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان ففي صوت (الثاء) إذن

[1]- انظر : بسام بركة ، علم الأصوات العام ، ص١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلامس بين طرف اللسان والقواطع العليا ، وهو قريب من المعنى بشكل كبير لما في التثاقل من تلامس إلى الأرض . ثم يأتي صوت مد الألف ليؤكد هذا التثاقل وبعد ذلك يأتي صوت (القاف) وهو مهموس أيضا ، فلا حركة للوترين الصوتيين وهذا مناسب للمعنى في عدم الحركة ، وعند النطق به يبقى رأس اللسان منخفضا ومستندا وراء الأسنان السفلى في حين يرتفع الجزء الخلفي منه تجاه أقصى الحنك اللين مرتفعا بحيث يسد مجرى الهواء من الأنف فصوت (القاف) إذن انسدادي لهوي مهموس فمي وفيه معاني الثقل الذي يتناسب مع المعنى . والآن أصبح عندنا صوتان مهموسان ويأتي بعد ذلك صوت (اللام) والذي يعتمد في مخرجه على طرف اللسان على أصول الأسنان العليا ويمنع مرور الهواء المندفع إلا أنه يترك منفذا ضيقا ويهتز معه الوتران الصوتيان إلا أن حركة السكون على اللام تحد من هذه الذبذبة مع وجود (اللام) بين صوتين صامتين مهموسين وهما (القاف) و (التاء) فتأتي الاهتزازة ثقيلة كما هو المعنى المراد من اللفظة .

ثم أتى صوت (التاء والميم) في مقطع واحد فعند النطق بصوت (التاء) يقف الهواء وقوفا تاما ويضغط مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة فيحدث الصوت الإنفجاري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع عدم تذبذب للوترين الصوتيين ويأتي بعده مباشرة صوت (الميم) وهو صـــوت انسدادي شفوي أنفي تنطبق معه الشفتان انطباقا تاما ويحبس الهواء ويضغط في الفم . ويهتز معه الوتران الصوتيان في آخر اللفظة ، لتعطيها شيئا مـــن الانطلاقـــة وهـــذه الأصوات التي تأتلف منها هذه الكلمة تحمل في مخارجها الضغط والانحباس والإطباق والثقل كما هي في معناها المعجمي .

ومثال آخر :

- (تخرصون) من معاني تخرصون : تكذبون . وتحليلها الصوتي على النحـــو الآتي : بدأت الكلمة بصوت التاء ، فعند النطق به يلامس رأس اللسان الجهة الداخلية لمنبت القواطع من الأسنان العليا ، فيقف الهواء وقوفا تاما ، ويبقى ضاغطا مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة ، فيحدث الصوت الانفجاري وأثناء النطق بصوت الدال لا يهتز الوتران الصوتيان ، فهو بذلك صوت مهموس . وعند النطق بصوت (الخاء) يرتفع الجزء الخلفي من ظهر اللسان ، وهو رجوع شديد إلى الوراء باتجاه الحنك اللين ، ولا يتذبذب معه الوتران الصوتيان عند النطق به . ثم ننتقل إلى صوت (الراء) مباشـــرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتذبذب معه طرف اللسان على اللثة ، بحيث ينتج عن اندفاع الهواء المزفور مجموعة من الضربات المتكررة مع تذبذب للوترين الصوتيين، وبعد ذلك يكون صوت (الصاد) الذي يرجع معه اللسان إلى الخلف مرة أخرى ، هذه الرجعة تؤدي إلى الإطباق أو التفخيم مع وقوف الوترين الصوتيين ومع صوت حركة الصائت الطويل (الواو) نسمع هذا المد ثم ننتهي عند صوت (النون) الذي يعود فيه اللسان إلى الأمام ، ليعتمد طرفه على أصول الأسنان العليا واللثة ويلتصق بهما . إن هذا الاضطراب في أصوات (تخرصون) ، وعدم الاستقرار وانتقال اللسان من المؤخرة إلى المقدمة ، كل هذا يحمل طبيعة المعنى وهو الكذب ، الذي يدل على اضطراب الكلام ونحن نشعر من خلال هذه الكلمة بأن فيها قلقا صوتيا كما هو معناها.

وإضافة للتحليل الصوتي للكلمة فإنه يمكن لنا أن نحس بالعلاقة بين معنى الكلمة وأصواتها ، من خلال الشعور المرهف للأذن ، والذي يستشعره الناطقون بها فالحس الصوتي للغة يحتاج إلى دربة ، وممارسة في تذوق واستشعار الصلة بين معنى المفردة وأصواتها . ولكن هذا لا يعني ، كما قدمنا ، أننا سنجد علاقة مطلقة بين معنى المفردة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصواتها . ولكن هناك علاقة قد نتلمسها وخاصة في المفردات التي تدل على الفعـــل والحركة كما تقدم .

الإيقاع الصوتي

تميزت العربية على غيرها من اللغات بكثير من الصفات ، ولعل مايلفت النظر هـــذا الإيقاع الصوتي للغة العربية . إذ تمتلك العربية أصواتا لها من الصفات المتعـــددة مـــا يجعلها متمايزة عن غيرها في الوضوح والشدة والسرعة والرنين والإيقاع . وهذا مـــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظه في نظم العربية من جناس وازدواج ورجز وقصيد . هـــذا كلـــه أدى إلى أن كلام العرب يرتكز على الإيقاع الصوتي ، وحتى الكلام الذي كان يرسل إرسالا فإننا نجد له إيقاعا داخليا .

" ولقد ازدانت العربية بزينة الإيقاع الصوتي منذ نشأتها نظما ونثـــرا ومـــا التنـــوين والإعراب سوى بعض آلات الموسيقى اللفظية وما التـــسجيع والتـــوازن والازدواج والإتباع وأنواع البديع اللفظي وقوانين الإعلال والإدغام سوى مظاهر أخرى لاهتمام العرب المفرط بجمال الرنة وحسن الإيقاع . " [١]

إن اجتماع المفردات في الجمل والعبارات بطريقة منتظمة ، تكسب الكـــلام جرســـا موسيقيا جميلا ، يمكن له أن يحقق دلالة معينة ، وبالتحديد فإن الإيقـــاع الموســـيقي يساعد على إكساب المعنى المراد تحقيقه صفة صوتية تظهر الجوهر العام للمعنى فلكثير من المعاني جرسات موسيقية تصاحبها ، كما نلاحظه في بعض اللقطات الـــسينمائية التي يصاحبها إيقاع موسيقي ، واللغة كذلك ، وهذا يتطلب من اللغة طاقـــة كامنـــة وتنوعا كبيرا في شدة الصوت اللغوي ودرجته ونوعه ، وهذا ما تتمتع بـــه العربيـــة. فالتنوع كبير في أصواتها ، ويشهد لهذا التنوع أن مخارج الأصوات في العربية تتـــوزع

[1]- روز غريب ، النقد الجمالي وأثره على في النقد العربي ،ص ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على كافة أعضاء جهاز النطق بدءا من الشفتين حتى أقصى الحلق . وعليه فعلى الناظم أن يتخير ألفاظه ويعتني بانتقائها ، لأنها مؤتلفة من أصوات تتوافق مع المعنى ، وهـــذا لايعني أن نتكلف بخطابنا أو بكتاباتنا ، وإنما هي الدربة ومعرفة المفردات وحس لغوي مرهف ، ثم ما يلبث إلا أن تكون السليقة اللغوية هي السجية والطبيعة الخطابيـــة أو الكتابية .

وهذا ما كان عليه العرب " ولقد كانت الأوزان فطرية في العرب فهي في الرجز وهي في السجع وهي في الشعر جميعا . " [١]

فالعربي كان يدرك بحسه المرهف هذه الإيقاعات ، حتى أصبحت جزءا مـــن نظامـــه اللغوي وسليقته النظمية ، الأمر الذي أدى إلى أن يكون كلامه إيقاعيا فطريا لا تكلف فيه .

وإذا أردنا الاستشهاد بذلك فشعر العرب خير دليل على ذلك :

إنّ التي زَعَمَت فؤادَك ملّها خُلَقت هواك كما خُلقت هوى لها

بيضاءُ باكرَها النعيمُ فصاغَها بِلبـــاقَـــةٍ فـــأدقَّـــها وأجـــلّـــها

حَجَبَتْ تحيّتَها فقلتُ لصاحبي مـــا كـــان أكثـــرَها لنا وأقلـــّها

[1]- الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج٢ ، ص٣٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فدنـــا وقال لعلّـــها مَعْذورَةٌ في بعض رِقْـــبَتِـــها فقلتُ لعلّـــها

إن المستمع لهذا الشعر ليجد حلاوة الإيقاع الذي اتفق مع المعـــنى ، والـــذي وافـــق خلجات نفس المحب ، وتلك الآهات التي تتدفق عبر صوت الهـــاء وهـــو صـــوت احتكاكي حنجري مهموس يلازمه صوت الصائت الفتحة الطويلة الذي رافق الأبيات في معظمها ، ويسمح بنفث آهات المحب المحبوسة . وهذا الإيقاع الصوتي الذي أحدثه تناغم الأصوات في التوازن الإيقاعي الثابت على نغمة واحدة تـــتحكم فيهـــا أبنيـــة المفردات في الأبيات .

وفي النثر ، حديث أم زرع ، دليل رائع على الإيقاع الموسيقي في العربية نثرا ، والذي نحس معه فطرية الإيقاع الموسيقي في نثرهم اليومي وهو يحمل دلالات المعنى .

" قالت عائشة : جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبـــار أزواجهن شيئا ، قالت الأولى : زوجي لحم جمل غثّ على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل . قالت الثانية : زوجي لا أَبُثّ خـــبره ، إني أخـــاف ألا أذره ، إن أذكره أذكر عجره وبجره . قالت الثالثة : زوجي العشنق ، إن أنطـــق أطلّـــق ، وإن أسكت أعلّق . قالت الرابعة : زوجي كليل تهامة ، لا حر ولا قـــر ، ولا مخافـــة ولا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سآمة . قالت الخامسة : زوجي إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهـــد قالت السادسة : زوجي إن أكل لفّ وإن شرب اشتفّ وإن اضطجع التفّ ولا يولج الكفّ ليعلم البث . قالت السابعة : زوجي غياياء – أو عياياء – طباقاء كل داء لـــه داء ، شجك أو فلك أو جمع كلا لك . قالت الثامنة : زوجي المس مـــس أرنـــب ، والريح ريح زرنب . قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد طويل النجاد / عظيم الرماد قريب البيت من الناد . قالت العاشرة زوجي مالك وما مالك ؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المَبارِك ، قليلات المسارح ، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك. قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع ، وما أبو زرع ! أناس من حليّ أذنيّ وملأ من شحم عضديّ وبجحني فبجحت إليّ نفسي ، وجدني في أهل غنيمة بشقٍّ ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس و(منق) ، فعنده أقول فلا أقـــبح ، وأرقـــد فأتـــصبح ، وأشرب فأتقمح . أم أبي زرع ، وما أم أبي زرع ! عكومها رداح وبيتها فساح . ابن أبي زرع ، فما ابن أبي زرع ! مضجعه كمسل (شطبة) ، ويشبعه ذراع الجفـــرة . بنت أبي زرع ، فما بنت أبي زرع ! طوع أبيها وطوع أمها ، وملء كسائها ، وغيظ جارتها . جارية أبي زرع ، فما جارية أبي زرع ! لا تبث حديثا تبثيثًا ولا تنقث ميرتنا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنقيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا . (قالت) : خرج أبو زرع والأوطاب تمخض ، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين ، فطلقني ونكحها، (فنكحت) بعده رجلا سريا (ركب شريا) وأخذ خطيا ، وأراح عليّ نعما ثريا ، وأعطاني من كل رائحة زوجا ، وقال : كلي أم زرع ، وميري أهلك ، قالت : فلـــو جمعت كل شيء أعطانيه ، ما بلغ أصغر آنية أبي زرع . قالت عائشة : قال لي رسول الله : كنت لك كأبي زرع لأم زرع . "[١]

ما أروع هذا الحديث الذي يتناغم إيقاعيا مع المعنى ، بل أبرز دلالة المعنى بطريقة تنم عن معرفة بإيقاعات أصوات هذه اللغة ، وكأنهم يتخيرون هذه الإيقاعات التي تحدثها كلمات بعينها تخيرا دقيقا ليولفوا معه دلالات المعنى المراد إيقاعيا .

إذ نلحظ بأن كل واحدة حاولت أن تلتزم بصوت معين ، وأخذت بتكراره ليحدث تناغما رائعا يبعد عن الكلام الرتابة والملل ، مع إيجاد إيقاع موسيقي مميز فانظر معـــي إلى تكرار صوت السين في كلام الأولى (رأس – سهل – سمين) مع صوت اللام

[1]- ابن بطال ، شرح البخاري ، ج٧ ، ص٢٩٦ – ٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(جمل – جبل – فينتقل) أما الثانية : فتكرر صوتي الهمزة نحـــو (أبـــث – إني – أخاف – ألا – أذره – أذكره – أذكر) مع صوت الهاء كـــــ (خـــبره – أذره – أذكره – عجره – بجره) .

أما الثالثة : فإنها تكرر صوت القاف نحو (العشنق – أنطق – أطلق – أعلق) مـــع صوت الهمزة نحو (إن – أنطق – أطلق – أسكت – أعلق) مع الانتباه أن هـــذين الصوتين تكرران معا في غير كلمة . وهلم جرّا في بقية الأقوال عند بقية النساء .

ومن خطبهم ؛ وصية أكثم بن صيفي لطيء ، قال أكثم : " أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم وإياكم ونكاح الحمقاء فإن نكاحها غرر وولدها ضياع . وعلـــيكم بالخيـــل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبألبانها يتحف الكبير ويُغذى الصغير ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت . ولن يهلك امرؤ عرف قدره . والعُدم عدم العقل لا عُدم المال . ولرجـــل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته . ومن رضي بالقسم طابت معيشته وآفة الراي الهوى . والعادة أملك والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى . والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليـــك لم تدفعـــه بقوتـــك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحسد داء ليس له دواء . والشماتة تُعقب ومن يرَ يوما يُرَ به قبل الرِّماء تملأ الكنائن الندامة مع السفاهة دعامة العقل الحلم خير الأمور مغبةً الصبر . بقاء المـــودة عـــدل التعاهد من يزر غبا يزدد حبا التغرير مفتاح البؤس من التواني والعجز نُتِجت الهلكة . "[١]

إن حسن التقسيم ليطالعنا في خطبة أكثم ، والذي أعطى جماليـــات إيقاعيـــة لهـــذه الدلالات ، والمعاني المتدفقة في الخطبة ، وتلاعب أكثم بالأصوات ، فهو يكرر بعضها طلبا للإيقاع ليحقق دلالة معينة " ومن يرَ يوما يُرَ " و " من يزر غبا يزدد حبا " .

ومن رسائلهم كتاب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : " أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإن الدنيا دار ظَعْن وانتقال ولَيست بدار إقامةٍ على حال ، وإنمـــا أُنـــزِل آدم عقوبـــةً ، فاحْذَرْها فإن الراغب فيها تارك ، والغني فيها فقير والسعيد من أهلها من لم يتعـــرَّض لها، إنها إذا اختبرها اللبيب الحاذق وجَدها تُذِلّ منْ أَعَزَّها ، وتُفرِّق من جَمعها فهـــي كالسُّمِّ يَأْكُله من لا يعرفه ، وَيَرْغَب فيه من يجهَله ، وفيه والله حَتْفُه فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمُداوي جِراحه ، يحتمي قليلا مخافَة ما يَكْرَه طويلا ، الصبر على لأَوائهـــا أيسرُ من احتمال بلائها ، واللبيب من حَذِرَها و لم يغترّ بزينتها ، فإنها غدّارة خَتّالـــة

[1]- أحمد صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج١ ، ص١٣٣ – ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خدّاعة قد تعرّضَت بآمالِها وتزيّنت لخُطّابها ، فهي كالعروس : العيونُ إليها ناظِرة والقلوبُ عليها والِهة وهي – والذي بعث محمدا بالحق – لأَزواجها قاتِلَةٌ ، فاتّق يا أمير المؤمنين صَرْعَتَها واحذر عَثْرَتَها ، فالرّخاء فيها موصولٌ بالشّدّة والبلاء والبقاء مُؤَدٍّ إلى الهلكة والفَناء ..... " [١]

أي جمال إيقاعي هذا الذي أبدعه الحسن ، وكأن اللغة طوع يده فقد اعتمد البصري على المحسنات البديعية ، والتي لا نحس معها التصنع ، بل نجد فيها العفوية والصدق ، مع اكثاره لصوت الصائت الطويل الفتحة الممدودة نحو (بلائها – الراغب – ناظرة – والهة – لأوائها- لخطبائها ...الخ)

فرصف الكلمات عند البصري ابتعد عن التنافر بين الألفاظ المختلفة ، وكذلك ابتعد عن التنافر بين الأصوات في المفردة الواحدة . الأمر الذي أدي إلى وجود مستوى إيقاعي ملحوظ يعتمد على صوت الصائت الطويل ، وهو الفتحة الطويلة نحو (ناظرة وقاتلة ووالهة ..الخ) . وقد لجأ البصري إلى مثل هذا الإيقاع ليتناسب مع المعنى المراد من الرسالة وهو الترفع عن الدنيا فناسب التّرفع صوت الصائت الطويل . ثم إن السجع في النص أضفى عليه شيئا من موسيقى الألفاظ ذات الإيقاع اللطيف على

[1]- أحمد صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، ج٢ ، ص٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السجع . وكذا فعلت الأبنية الصرفية المتماثلة في الفواصل المتتالية : (والهة – قاتلة) ، (صرعها – عثرها) ، (البلاء – الغناء) . وهذا يتناسب مع طبيعة النصح الـــذي يستوجب رقةً في الأسلوب ، ولطفا في الأداء .

ومن أمثالهم :

(أقصر لما أبصر) [١] ، (مولاك وإن عناك) [٢]، (ذلك ما غرّ راكب) [٣]، (لا تعقرها لا أبا لك إما لنا وإما لك) [٤] .

فالأمثلة العربية بالعموم تتميز بإيقاعات قصيرة ، وذلك لطبيعة المثل ، ذلك أنه يتميز بالإيجاز الشديد والمعنى المحكم ، لذلك جاءت إيقاعاته قصيرة وخاطفة .

وهذا لا يعني أن هذه الميزة للعربية فقط ، بل هي في معظم اللغات التي تعمـــل علـــى تحقيق إيقاع موسيقي متناغم مع المعنى ولكننا نرى أن العربية أوتيت عوامل إضـــافية الأمر الذي جعلها من أقدر اللغات على إحداث تناغم موسيقي رائع بـــين المعـــنى والنظم . فالوزن الشعري في اللغات الأوروبية يقتصر على وزنين همـــا minor و major وهذا يحد من تنوع الإيقاع الموسيقي ، وقارن هذا بما لدى العرب مـــن

[1]- العسكري ، كتاب جمهرة الأمثال ، ج١ ، ص١٨٧ .
[2]- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج٢ ، ص٣٧٠ .
[3]- الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، ج٢ ، ص٢٥٠ .
[4]- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ستة عشر وزنا تزداد بالمجزوءات والزحافات السائغة وتنوع العروض والضرب، وما يحدثه ذلك من غنى موسيقي لا مثيل له . " البلاغة ليست مقصورة على أمة دون أمة ولا على ملك دون سوقة ولا على لسان دون لسان بل هي مقسومة على أكثر الألسنة فهم فيها مشتركون وهي موجودة في كلام اليونان وكلام العجم وكلام الهند وغيرهم ولكنها في العرب أكثر لكثرة تصرفها في النثر والنظم والخطب والسجع والمزدوج والرجز وهم أيضا متفاوتون . " [١] ومما ساعد على تميز العربية في هذا الملمح الدلالي ، خصائص عدة ، تمتعت بها العربية لعل من أهمها ، سعة المدرج الصوتي ، واطراد الأوزان في النظام الصرفي وكون المقاطع الصوتية في العربية مقاطع إيقاعية .[٢]

ومما يعنينا هنا أن نبحث جماليات الموسيقى في النظم العربي ، تلك الجمالية التي تكسب المعنى دلالة متمايزة . هذه الدلالة تشق مع المعنى المراد في ذهن المتكلم فالتناسب بين المعنى والإيقاع الصوتي أمر في غاية الأهمية في تحقيق الدلالة الكلية للنظم والبعد عن تتابع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في المخرج أو تتابع الحركات الثقيلة أو تجنب بعض الألفاظ والأبنية الصرفية يكسب المعنى تأثيرا خاصا على المتلقي .

[1]- أبو أحمد العسكري ، رسالة التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ، ص٢١٣ .
[2]- انظر : أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، ص٢٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللمقاطع الصوتية قيمة كبيرة في إحداث التوافق الإيقاعي ، لذلك كان لا بد من تناسبٍ في تأليف المقاطع الصوتية ولعل مما بهر بلغاء العرب من القرآن الكريم هذا التناسق الصوتي الذي ائتلف فيه المعنى ، بنظام صوتي عجيب لم يألفوه من قبل لا في شعرهم ولا في نثرهم .

وقد يتفق التناسب في ترتيب المقاطع الصوتية في القرآن الكريم أو في جزء منه مع وزن من أوزان الشعر العربي ، ولكن هذا الاتفاق غير مقصود ، بل هو عرضي ، ولا يجيز المقارنة فيه ، إلا أن الشاهد منه ، هو إبراز هذا الإيقاع الموسيقي ، من خلال عرض مثل هذه المواضع القرآنية على أوزان الشعر العربي . " فليس يعيب القرآن أن نحكم عليه أن في ألفاظه موسيقى كموسيقى الشعر وقوافي كقوافي الشعر أو السجع ، بل تلك ناحية من نواحي الجمال فيه . " [1] ومما يلفت النظر أن المقاطع الصوتية في القرآن الكريم متنوعة ومتعددة بحيث تتفق مع المعنى العام لتحقيق الدلالة المرجوة فليس أدل على ذلك من المقاطع السريعة التي تأتي لتناسب معنى معينا والمقاطع الخفيفة لمعنى معين وكذلك المقاطع المتوسطة تأتي لمعان معينة " إن ترتيب المقاطع الصوتية في نظم الآيات يعد من مصادر حلاوة الإيقاع القرآني ، لأنه ترتيب يقوم على مبدأ التناسب ولعل

[1]- إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص٣٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا التناسب الإيقاعي هو الذي يمكن المرتلين من ترتيل القرآن بهذه الأنغام العذبة التي تهز نفوس المستمعين . "[١]

ومن جماليات الموسيقى في النظم العربي، الإمالة فالإمالة اختيار من اختيارات الإيقاع الصوتي الموسيقي والتي تعطي إيقاعا يبتعد عن الرتابة الموسيقية . لذلك وجدنا مثل هذه الإمالة في قراءة بعض القراء فكانت اختيارات إيقاعية متناغمة في الأداء والمعنى . ومثال هذه الإمالات إمالة الحرف في قوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوي بنانه)[٢] وإمالة الاسم في قوله تعالى (والضحى والليل إذا سجى)[٣] وإمالة الفعل نحو قوله تعالى (فزادهم الله مرضا)[٤] .

ولعل ظاهرة الإدغام دليل آخر على مثل هذا التنوع الإيقاعي والموسيقي الذي عرفته العربية ، وجاء به القرآن الكريم على نحو رائع في النظم الخطابي القرآني .كالإدغام المتماثل نحو قوله تعالى في سورة الشعراء (اضرب بعصاك البحر) ، ٦٣ ، والإدغام المتجانس نحو قوله تعالى في سورة هود (اركب معنا) ، ٤٢ ، والإدغام المتقارب نحو قوله تعالى (وقل رب) و قوله في سورة المرسلات (نخلقكم) ، ٢٠ .

---

[1]- أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، ص٣١٦ .
[2]- سورة القيامة ، الآية : ٤ .
[3]- سورة الضحى ، الآية : ١ .
[4]- سورة البقرة ، الآية : ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" فكل هذه الأصناف التي تتناولها ظاهرة الإدغام واختيار القراء إنما تمثل تناسبا إيقاعيا في التلاوة لا يؤديه إظهار ما يمكن إظهاره منها ولا تؤديه ظاهرة أخرى على هذا النحو من التنويع في أصوات الألفاظ في التركيب القرآني . " [1] إن الإيقاعات القرآنية المتنوعة تعكس جماليات هذه اللغة ، فالعربية تملك القدرة الكامنة في ذاتها لإحداث مثل هذه الإيقاعات العذبة التي نستعذب معها المعنى ونجد له دلالة أخرى غير تلك الدلالة التي لو كانت بغير إيقاع ، لقد فطن العربي إلى هذا التناغم الإيقاعي في كتاب الله فقال عنه : إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه يعلي ولا يُعلى .

لقد فتن العربي بهذه الأنساق الإيقاعية التي جاءت من ألفاظ عرفها من قبل لكنه لم يستطع من نظم هذه الألفاظ بهذه الأنساق الجميلة التي تحمل معاني سامية تسمو كلما قرأناه .

ولعل اللوحةالموسيقية الرائعة هي تلك التي رسمها القرآن الكريم ؛ لأننا نجد فيه إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع ، يتناسب مع المعنى ليتحقق بعد ذلك وظيفة النظم . والإيقاع القرآني له ميزة خاصة لا يضاهيها أي نظم لأن أصوات القرآن تتآلف في الكلمات تآلفا عجيبا لا نفور فيه وهذه الكلمات تتآلف في جمل لا تباعد بينها وإنما هي منظومة

[1]- محي الدين رمضان ، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ، ص٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظما عجيبا . وهذه الإيقاعات في القرآن الكريم متناغمة بحيث ترسم لنا لوحة موسيقية مبدعة والقرآن يأتي أحيانا بألفاظ لها نكت معنوية خاصة لكنها تحدث انسجاما موسيقيا مؤنسا . " ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى " فلو قلت ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك قسمة ضيزى لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة (إذن) ولا يعني هذا كلمة (إذن) زائدة لمجرد القافية أو الوزن فهي ضرورة في السياق لنكت معنوية خاصة . " [١]

وإذن هنا حرف جواب لما زعمتموه أن لله الأنثى مع علمكم أو عدم علمكم بأنهن ناقصات " إذا جواب ماذا ؟ نقول يحتمل وجوها (الأول) نسبتكم البنات إلى الله تعالى إذا كان لكم البنون قسمة ضيزى (الثاني) نسبتكم البنات إلى الله تعالى مع اعتقادكم أنهن ناقصات واختياركم البنين مع اعتقادكم أنهم كاملون . " [٢]

وللقرآن موسيقى داخلية لا يمكن للمرء أن يتمكن من شرح هذا الإيقاع أو تفسيره وإنما يحس به كما هو ، إنه إيقاع يستشعر به العربي ويجذبه دون أن يتمكن من تحديده " على أن هناك نوعا من الموسيقى الداخلية يلحظ ولا يشرح وهو كامن في نسيج

[1]- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص٨٢ .
[2]- الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٨ ، ص٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللفظة المفردة وتركيب الجملة الجملة الواحدة وهو يدرك بحاسة خفية وهبة لدُنّيّة ؟ "[١] ولتغير الفاصلة القرآنية أو القافية أثر في المعنى وخير دليل على ذلك ما جاء في سورة مريم ، فعندما تكون الأحداث مع قصص الأنبياء نجد الفاصلة " تقيا .. عصيا .. حيا .. سويا .. مقضيا .. " أما عند الابتعاد عن القصص فإن الفاصلة القرآنية تتغير بتغير الموقف " يمترون .. عظيم .. مبين .. لا يؤمنون .. " ثم ترجع الآيات إلى القصص فترجع الفاصلة " نبيا .. سويا .. عصيا .. " وفي نهاية السورة تختلف الفاصلة مرة أخرى ذلك لأن القصص يناسبها فاصلة خاصة بها والمعاني الأخر لها فواصل خاصة بها " وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول ويتغير نظام القافية فتصبح بحرف الميم وقبلها مد طويل وكأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة مستمدا منها ولهجة الحكم تقتضي أسلوبا موسيقيا غير أسلوب الاستعراض وتقتضي إيقاعا قويا رصينا بدل إيقاع القصة الرخي المسترسل وكأنما لهذا السبب كان التغيير . "[٢]

وفي سورة يوسف عليه السلام مثل آخر على تغيير الفاصلة القرآنية بشكل يتفق مع المعنى والدلالات المتعددة في السورة حتى لكأنك تشعر بتناغم هذه الفواصل والتنويع فيها وتكرارها أحيانا وكأنك تعيش مع الحدث .

[1]- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص٨٤ .
[2]- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولننظر إلى الفواصل في سورة العاديات (والعاديات ضبحا (١) فالموريات قدحا (٢) فالمغيرات صبحا (٣) فأثرن بها نقعا (٤) فوسطن به جمعا (٥) إن الإنسان لربه لكنود (٦)وإنه على ذلك لشهيد (٧) وإنه لحب الخير لشديد (٨) أفلا يعلم إذا بعثر مـــا في القبور (٩) وحصل ما في الصدور (١٠)إن ربهم بهم يومئذ لخبير (١١) .)

بدأت السورة بفاصلة صوت (الحاء) وهو يناسب جو الغارة التي تشن بغتة وبقـــوة فهي مناسبة للمعنى ثم يغير في الفاصلة ليزيد من شدة الموقف فكانت فاصلة صوت (العين) وهذان الصوتان مناسبان تماما للدلالة عن جو الآيات فتأمل معـــي هـــذين الصوتين :

(الحاء) صامت احتكاكي حلقي مهموس .

(العين) صامت احتكاكي حلقي مجهور .

فالانتقال من الصوت المهموس إلى الصوت المجهور فيه قوة وأكثر حركة وهذا مناسب فالانتقال الفاصلة وتغيرها . وبعد ذلك فالإنسان يخضع لربه فجاءت فاصلة صوت (الدال) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا يظهر لنا أن للفاصلة القرآنية دلالات متعددة تبعا للمعنى المراد تحقيقه . [١]

التنغيم

لم يدرس علماء العربية التنغيم دراسة وافية تفصيلية تمكننا من سبر أغوار هذه الظاهرة. ولعل دراسة التنغيم أدائيا كان أكثر منه دلاليا ؛ الأمر الذي أدى إلى عدم اســـتكناهنا

[1]- للمزيد من التفصيل حول الفاصلة القرآنية ، انظر : محمد حسناوي ، الفاصلة القرآنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقيقي لهذه الظاهرة . ولعل اقتصارنا على فهم التنغيم ضمن حدود التلوين الصوتي كان سببا آخر في عدم معرفتنا بأهمية التنغيم ؛ فقد عرف علماؤنا الأوائل التنغيم ظاهرة لا مصطلحا .

ويجب أن نفرق بين النغمة والتنغيم ؛ فالنغمة أن " تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الكلمة . " [١]

أما التنغيم فهو أن " تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة أو مجموعة الكلمات . " [٢] ولعل ابن جني كان ممن تنبه إلى التنغيم إذ يقول : " كان والله رجلا فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك ."[٣]

واستخدم النحاة الأوائل مصطلح (الترنم) فابن يعيش يقول : " اعلم أن المندوب مدعو ويقول : لما كان مدعوا بحيث لا يسمع أتوا في أوله بياء أو واو لمد الصوت ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخرا للترنم . " [٤]

---

[1]- أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص١٩١ .
[2]- المصدر نفسه ، ص١٩١ .
[3]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص٣٧١ .
[4]- ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٢ ، ص١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن فقد عرف العرب التنغيم ، وأزعم هنا أن العرب الأوائل – الأقحاح _ كانوا يمارسون التنغيم بأشكاله المتنوعة في جميع مناحي حياتهم ذلك أنهم أصحاب اللغة فكان التنغيم عندهم أدائيا ودلاليا وهو على قسمين نحوي وتعبيري ، ومن ذلك أنهم عرفوا الإطلاق في شعرهم في عروض قصيدهم وضربه.

وللتنغيم حدود عدة فيعرفه دانيال بأنه " التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية " [١]

ولعل القراء كانوا أكثر دربة وممارسة للتنغيم ؛ ذلك أن قراءة القرآن المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشمل التنغيم بنوعيه الأدائي والدلالي ، والتنغيم عند القراء كان شاملا في الأداء بحيث لا يقتصر على بعض المفاهيم التنغيمية كارتفاع النغمة أو هبوطها بل تعدى ذلك إلى كل ما يحيط بالتنغيم من سنن أهل اللغة في الأداء كعلو الصوت وخفضه وكيفية تنغيم الفواصل القرآنية صوتيا والتتابع المطرد للسكتات والحركات واختلاس بعض الأصوات والاستغناء عن بعضها ....الخ . وما يهمنا هنا التنغيم بشقيه الأدائي والدلالي . ويبدوا أثر التنغيم واضحا في المتلقي بمقارنة استقبالك

[1] - An Out Line of English Phonetics, p 275 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنص قرآني يُقرأ مرتين : مرة من غير تجويد أو ترتيل ، ومرة بتجويد أو ترتيل ، وانظر هل تستوي الطريقتان في أثرهما ؟

أولا : التنغيم الأدائي :

وأقصد به هنا طريقة نطق الكلمة حسب النظام اللغوي المتعارف عليه عند أهل اللغة أنفسهم وهذا لا يكون إلا بالتعلم المكتسب من خلال ما يسمعه المرء من أهل بيئتـــه فيكتسب طريقة معينة لتنغيم كلامه . وهذا التنغيم يتقنه المرء واعيا أو غير واع بتفاعله المستمر مع بيئته اللغوية مدة من الزمن يتمكن خلالها من فهم اللغة التنغيمية الطبيعيـــة للغة المراد تعلمها وهذا الذي نطلق عليه أحيانا (ابن بيئته اللغوية) فتنغيم اللغة عنده متأصل بحيث يتكلم على سجيته دون الحاجة إلى التكلف أو التصنع في الأداء التنغيمي

ثانيا : التنغيم الدلالي

ينقسم التنغيم الدلالي إلى قسمين : أ – التنغيم التعبيري ب – التنغيم النحوي

أ- التنغيم التعبيري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشترك كثير من اللغات في التنغيم التعبيري بل في طريقة التنغيم نفسه في بعض المواقف كالتعجب مثلا ، والأصل أن يصاحب المتكلم تنغيمات مختلفة بحسب الكلام الذي يتحدث به والموقف الذي يحيط بهذا الكلام فالتنغيم يعطي دلالات مختلفة ومتباينة وعلى المتكلم أن يراعي قواعد التنغيم التعبيري في كلامه وإلا فُهِمَ خَطأً .

والتنغيم التعبيري في العربية واضح جلي ، والعربي يستخدمه في كلامه كي يفصح عن دلالات محددة . وهذ التنغيم لا يقتصر على التأكيد أو الانفعال أو الدهشة والغضب وما إلى ذلك ولكنه يشمل كل مناحي التنغيم المصاحب للكلام فهو شمولي حتى وإن كان القول مجرد إخبار فللإخبار نغمته الخاصة به وللسرد الكلامي تنغيمه الخاص به ، وفي هذا المستوى يكون التنغيم تمييزيا وهذا خلاف ما ذهب إليه أحمد مختار عمر ، أن " معظم أمثلة التنغيم في العربية ولهجاتها من النوع التمييزي الذي يعكس إما خاصية اللهجة أو عادة نطقية للأفراد . ولذا فإن تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلا وكل المحاولات التي قدمت حتى الآن لدراسة التنغيم في اللغة العربية قامت على اختيار مستوى معين من النطق وعلى اختيار نغمات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصوت بالنسبة لفرد معين داخل هذا المستوى ولكن التنوع بين الأفراد في هـــذه الناحية يحول بين الباحث وبين تعميم النتائج . " [١] فما ذهب إليه الدكتور أحمـــد مختار عمر قد يقع في التنغيم الأدائي الذي لا يغير في الدلالة . ويقع كلام الأستاذ أحمد في مسألة التلوين الصوتي وهذا لا نبحثه هنا ذلك أن التلوين الصوتي تنـــوع نطقي لا ينجم عنه اختلاف المعنى في العربية ولكنه يؤدي إلى اختلاف المعنى كما في اللغة الصينية وبعض لغات غرب أفريقيا .

فالعربية تعرف التلوين الصوتي وهو ضمن لهجاتها . ولكنها تعرف التنغيم أداء مميـــزا ودقيقا بشقيه التعبيري والنحوي وهذا يوافق ما ذهب إليه الدكتور محمد الـــضالع ، يقول : " يتميز الأداء العربي بنظام لا يسود فيه التنغيم الخاص بل بأداء يتميز برصف الألفاظ وتنضيد المباني في نغمات تتجاذب بين الصعود والهبوط ويتراوح بين التلـــوين الصوتي وجرس الأصوات ومطلها . " [٢]

[1]- أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص٣١٥ .
[2]- محمود الضالع ، قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية ، مجلة العلوم الإنسانية ، ص٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة التنغيم في العربية في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخـــذوا عـــدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)[1]. والمعنى : أتلقون إليهم بالمودة وهم عـــدوي وأعداؤكم .

وفي قول المتنبي: أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

فهنا استفهام في قوله (أحيا) .

وقول الكميت : طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

أراد أو ذو الشيب يلعب ؟

ونؤكد هنا بأن (الألفون) وهو صورة نطقية للصوت ، لا يؤدي إلى تبدل في المعنى أو تأثره فالذي يغير المعنى هو التنغيم التعبيري أو التنغيم النحوي . فليس من المعقـــول أن لغة كالعربية بهذا الضبط في معجمها وفي ميزانها الصرفي وفي تراكيبـــها لا تملـــك تنغيما مميزا وهي لغة اعتمدت منذ نشأتها على المشافهة ولا بد في عملية المشافهة من تنغيم معين حتى نتمكن من نقل المعنى بصورته الصحيحة . لذلك فالعربي كان لا يقعد للتنغيم لأن التنغيم من سجيته اللغوية وهو يمارسه مع الأداء الكلامي ولعـــل الـــشعر

[1]- سورة الممتحنة ، الآية : ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي القديم حافل بذلك ناهيك عن القرآن الكريم والأمثلة السابقة دليل على ما ذهب إليه الباحث.

صحيح أن علماءنا القدماء لم يعالجوا التنغيم مصطلحا أو ظاهرة إلا أنهم عرفوه ومارسوه بطريقة دقيقة ومعبرة " ولم يعالج أحد من القدماء شيئا من التنغيم ولم يعرفوا كنهه غير أننا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة . " [١]

وهنا لا أوافق أستاذنا رمضان عبد التواب بأن علماءنا لم يعرفوا كنه التنغيم في الأداء ولكن أوافقه أنهم لم يعرفوه مصطلحا . وعليه فعلينا أن ننظر إلى التنغيم التعبيري بطريقة مختلفة وأن نعمل على تقعيد مثل هذا التنغيم بحيث نحدد أماكنه ومستواه في الأداء الصوتي التنغيمي . وهذا ما يحتاجه متعلم العربية من تحديد للدلالات التنغيمية التعبيرية مع تمثل هذا الأداء عمليا (صوتيا) بحيث يمكن للمتحدث بلساننا أن ينغم هذه الدلالات تنغيما صحيحا وأن يستخدم هذا التنغيم في حديثه دونما حرج وأن يطلق العنان له في كلامه دون تَكَلُّفِ كَبْتٍ لِحَرَكاتِ الجسم المعبرة التي تصاحب هذا

[1]- رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ، ص٢٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنغيم التعبيري ، وهذا قريب مما يدرسه المتعلمون في معاهد التمثيل والمسرح . وحبذا لو عمم مثل هذا المنهاج على مدارسنا في مراحل التعليم المختلفة .

ب – التنغيم النحوي

يعد التنغيم النحوي ضروريا في فهم التركيب إذ بدونه يحدث إغلاق الفهم ، أو فهم التركيب على غير المعنى الذي قصد به .ولا بد أن نشير هنا إلى أننا أهملنا هذا التنغيم في دراستنا لأبواب النحو العربي لا سيما في جامعاتنا ومدارسنا . ولننظر مثلا إلى هذه الأمثلة المشهورة :

(ما أجملَ السماء ! و ما أجملُ السماء ، و الأسدَ و الأسدُ) فبدون التنغيم النحوي لا يمكن لنا فهم تلك الأمثلة ؛ فالذي يتحكم بالتنغيم هنا هو التركيب النحوي ، لذلك وجب علينا أن ننغم هذا التركيب النحوي تنغيما يوافق المعنى وإلا فهمت الجملة على غير ما أريد منها . وفي أسلوب النداء ، مثلا ، دليل آخر فحين تنادي عليّا وأنت في حالة الغضب يختلف نداؤك إياه عنه وأنت تتعجب من فعله ، أو طالبا المساعدة. وللتعجب أمثلة كثيرة تدل على أن التركيب يحدد نغمة بذاتها وإلاّ ضلّ عنّا فَهْمُ المعنى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو التعبيرعما في أنفسنا بطريقة صحيحة ، والفيصل هنا في فهم المعنى للتنغيم النحوي ليس إلا " وربما كان له – للتنغيم – وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام ، فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه (أنت محمد) مقررا ذلك أو مستفهما عنه . وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام ... ولكن التنغيم هو ناحية الخلاف الوحيدة بينهما وما دامت ناحية الخلاف هذه قادرة على أن توضح كلا من المعنيين فللتنغيم إذا وظيفة نحوية . " [١]

وهناك من يفصل بين التنغيم والنحو . ويرى الدكتور محمود الضالع ، مثلا ، أن النظام النحوي حل محل التنغيم " فلم تعرف اللغة العربية التنغيم في نظامها النحوي العميق واستعملت بدلا منه أدوات وأصواتا قطعية للتعبير عن الاستفهام والتوكيد والتعجب وأيضا للتعبير عن النداء والاستغاثة والندبة وغيرها من الأمور الانفعالية مثل الفخر والتواضع . " [٢]

ولعل التركيب النحوي أو الأداة النحوية هما اللذان يحددان نوع التنغيم ولكنهما لا يلغيان التنغيم مطلقا فالتركيب النحوي هو الذي يفرض طبيعة التنغيم ، وليس العكس ومع هذه الأسبقية للتركيب فإن هذا لا يعني الاستغناء عن التنغيم . فلو أن ناطقا للغة

[1]- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص ١٦٤ .
[2]- محمود الضالع ، قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم ، ص٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية ذكر التركيب سليما ولكن بتنغيم غير مطابق لدلالة التركيب النحـــوي فـــإن الدلالة العامة يصيبها الاضطراب .

وعليه فإن انتقال الدلالة من خلال التنغيم يعد من عناصر تحقيق الدلالـــة ، ولا بـــد للمتكلم ان يكون على وعي تام بالتنغيم بنوعيه وهما التنغيم الأدائي والدلالي بنوعيـــه التنغيم التعبيري والتنغيم النحوي . وعلينا أن نقيم تدريس طلابنا للعربية على وفـــق هذه الأنماط الثلاثة بحيث يتعلم الطالب التنغيم الأدائي من خلال بيئته اللغوية العربيـــة ويتعلم التنغيمين التعبيري والنحوي من خلال الدروس المعطاة في منهاجه ومن خلال أداء المعلم نفسه بحيث يصبح بعد مدة من الزمن نمطا سلوكيا في جميع منـــاحي الأداء الكلامي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النبر

يعد النبر ظاهرة صوتية تختلف من لغة إلى أخرى ولكن الفرق يكمن في كون النبر ملمحا تمييزيا أو لا . وللنبر دوران : الدور الأول في كونه فونيما يمكن معه أن يغير الدلالة والدور الثاني يكون في كونه غير فونيمي ولكنه يعمل على توكيد المعنى أو جزء منه بشكل قوي فالنبر " إذا موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلامية ، وحدّه أنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم."[١]

وقد ذهب البعض إلى القول بأن العربية لا تعرف النبر " ولا نص نستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن ومما يتضح من اللغة نفسها ومن وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها أو لم يكد يوجد ؟؟ وذلك أن اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها ومد الحركات المضغوطة . "[٢] والرد على ذلك سهل فالعربية أعطيت من المميزات في نظامها

[1]- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص١٦٠ .
[2]- برجشتراز ، التطور النحوي ، ص٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصوتي ما يمكن معها أن تحدث نبرا على مقطع من الكلمة أو تحدث نبرا على كلمة دون أخواتها في الجملة . والحركات في العربية سواء كانت قصيرة أو طويلة يمكن التعامل معها تبعا للنظام الصوتي العربي بحيث يحدث عندنا نبر وفقا لقواعد النبر العربي[١] ولعل النبر في العربية كما بينه بروكلمان له نوع موسيقي :" في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية ويتوقف على كمية المقطع فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها . " [٢]

إذن فللنبر دور وظيفي في التأكيد على المعنى وكأن دوره يقتصر على لفت نظر السامع إلى أهمية مقطع في كلمة أو كلمة في سياق فيوليها عناية خاصة ولكن ليس له دور تمييزي أي ليس له دور في اختلاف المعنى أو نقل الكلمة من دلالة إلى أخرى وعلى الناظر إلى تحقيق الدلالة أن ينظر إلى ما قد يؤدي إلى إبراز المعنى وإظهاره بشكل جلي وواضح . ولهذا قمنا بدراسة النبر مع العلم بأنه ليس فونيما في العربية ولكنه عامل مساعد في إبراز المعنى وظهوره ووضوحه .

---

[1]- للتعرف على أنواع النبر في العربية ، انظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٧٣ . و تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص١٦١

[2]- بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، ص٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحتى في اللغات النبرية stress language كالإنجليزية مثلا لا يعد النبر مغيرا للمعنى في جميع أحواله ولكنه يؤدي وظيفة صوتية نمطية " وليس كل النبر في الإنجليزية مفرقا بين المعاني فمعظم كلمات اللغة الإنجليزية لا يؤدي تغير موضع النبر فيهـــا إلى اختلاف المعنى ولكنه يؤذي أذن السامع لخروجه عن المعيار اللغوي . " [١]

فيحسن بنا أن نبين أننا لا نستطيع تحديد مقاطع معينة في كلمات معينة أو كلمات في جمل محددة يكون عليها النبر ، ولكن النبر يعتمد على الموقف الكلامي اعتمادا مباشرا فالموقف الكلامي هو الذي يحدد النبر بنوعيه سواء أكان على مقطع من الكلمة المفردة أو في كلمة ضمن سياق . فالموقف الكلامي متغير بتغير الحدث لذلك يصعب علينـــا تحديد مواقع النبر .

وفي الوقت نفسه يصعب علينا تحديد قواعده في العربية لارتباط النبر بالعادات النطقية للهجات المختلفة .

[1]- أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص١٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السكتة المفصلية

للسكتة المفصلية دور كبير في تغيير الدلالة وأقصد بالمفصلية هنا التمييزية أي التي تؤدي إلى اختلاف الدلالة . ولعل المحدثين هم الذين دققوا على هذه السكتة التمييزية وهذا لا يعني أن القدماء لم يلتفتوا إليها ، فالتفاتة القدماء إلى السكتة التمييزية ، لم تكن بما يتصل بالقرآن الكريم وحده بل تعدت إلى الشعر والنثر فنجد أمثلة كثيرة يمكن أن يحمل تنوع المعنى فيها على اختلاف موضع السكت .

" والتفاتة القدماء إلى السكتة التمييزية لم تكن فيما يتصل بالقرآن الكريم وحده بل نجد أمثلة كثيرة يمكن أن يحمل تنوع المعنى فيها على اختلاف موضع السكت(الوقف). " [١]

وبهذا فإننا لا نقف إلا على السكتات أو الوقفات التي يمكن من خلالها تغيير الدلالة وارتأينا أن ندرس في السكتة المفصلية السكت والوقف .

أولا :السكت القرآني

في دراستنا للسكت سنتناول ما ورد في القرآن الكريم عند حفص عن عاصم وهي سكتات أربع ونقتصر عليها إذ هي الرواية المشهورة بين الناس اليوم . والسكت عند علماء التجويد " هو قطع الصوت عن القراءة بدون تنفس وزن حركتين . " [١]

[1]- حسام النعيمي ، أبحاث في أصوات العربية ، ص٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي موضوع السكت فرق الغرب بين مصطلح open juncture ومصطلح Close juncture إلا أننا لا نرى حاجة إلى مثل هذا التفريق في دراستنا هذه لأنه يعتمد على حالة الكتابة ولا يصلح للتفريق بينهما في حالة النطق. فنحن نـــدرس أصواتا ولا ندرس رسم الأصوات .

" والظاهر أن الذين وصفوا مـــصطلح open juncture ومـــصطلح close juncture كانوا ينظرون إلى رسم الكلمات وما بين رموز الكتابة من تقارب أو تباعد وفي هذا اقحام ماليس من الصوت في الصوت ولفظا الحدة والخفاء أو الظهـــور والخفاء أولى في وصف الصوت اللغوي . " [٢]

ومن الآيات التي ورد فيها السكت في كتاب الله عن قراءة عاصم برواية حفص .

١- " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا / قيما " [٣]

٢- " قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا / هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون "[٤]

---

[1]- حسني الشيخ عثمان ، حق التلاوة ، ص١٦٠ .
[2]- حسام النعيمي ، أبحاث في أصوات العربية ، ص٧٣ .
[3] - الكهف ، الآية : ١- ٢ .
[4] - يس ، الآية : ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- " كلا إذا بلغت التراقي وقيل من / راق. " [١]

٤- " كلا بل / ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " [٢].

فالآية الأولى إذا أدينا القراءة بالوصل فقد يلتبس المعنى بأن " قيما " في الآية الأولى أنه صفة " عوجا " والأمر ليس كذلك . أما الآية الثانية فقد يلتبس فهم الآية فيكون اسم الإشارة في حالة الوصل أنه صفة لمرقدنا ، إضافة لاضطراب المعنى عند الوصل لأنه يحتمل أن يفهم المعنى على كون (ما) موصولة ، ويقدر محذوف في الكلام أي ما وعد الرحمن حق أو ما أشبه ، أو يفهم على أن (ما) نافية فيضطرب المعنى والعياذ بالله .

والآية الثالثة يظن السامع معها في حالة الوصل " من راق " انه صيغة مبالغة من المروق وهو الهروب والمعنى ليس كذلك . أما في الآية الرابعة فقد يتوهم السامع أنها كلمة واحدة في حالة الوصل .

وبهذا نلاحظ ما للسكت من أهمية في اختلاف المعنى . وأرى أن أقسم السكت على قسمين السكت القرآني والسكت الكلامي لأن السكت في القرآن الكريم محدد وثابت .

[1] - القيامة ، الآية : ٢٦ .
[2] - المطففون ، الآية : ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : السكت الكلامي

وهو ما يكون في الكلام سواء كان شعرا أم نثرا مع قطع النفس ومثال ذلك :

إذا ملك لم يكن ذا / هبة فدعه فدولته ذاهبة

عضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنا / به

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل في تهذيبها

فمتى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذي/ بها

فمن يك يحلو له ما يصيب حراما فإن حلالي حلا / لي

الوقف :

أرى أن نقسم الوقف على قسمين قسم في كتاب الله وقسم في غـــير كتـــاب الله ، وذلك لأن الوقف في القرآن له خصوصيته وأنواعه الخاصة به . أما الوقف في القرآن فقد قسم على أقسام عدة إلا أنني أميل إلى رأي من عَدّهُ أربعة أنواع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- الوقف التام : وهو " الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لا يتعلق شيء مما بعده به . " [١]

وأكثر ما يكون موجودا في الفواصل ورؤوس الآي كقوله تعالى :" وأولئك هم المفلحون " [٢] والابتداء بقوله " إن الذين كفروا " وفي قوله تعالى " وجعلوا أعزة أهلها أذلة " [٣]. والابتداء بقوله تعالى : " وكذلك يفعلون " .

وهناك تعلق من طريق المعنى لا من طريق اللفظ نحو قوله تعالى : " وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا " [٤]. ثم يبتدئ بقوله تعالى : " ما لهم به من علم. "

٢- الوقف الكافي وهو " الذي يحسن الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ . " [٥]

وهذا يدل على دقة علماء التجويد في تقسيم الوقف وعلاقة اللفظ والمعنى بما قبل الوقف لأن ذلك قد يؤدي إلى تغير في الدلالة .

---

[1]- أبو عمرو الداني ، المكتفى في الوقف والابتداء ، ص١٠٧ .
[2]- البقرة ، الآية : ٥ .
[3]- النمل ، الآية : ٣٤ .
[4]- الكهف ، الآية : ٤ .
[5]- أبو عمرو الداني ، المكتفى في الوقف ، ص١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى : " حرمت عليكم أمهاتكم " [١] والابتداء بما بعد ذلك في الآيات كلها . وكذلك الوقف على قوله تعالى " ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم " النور والابتداء بما بعد ذلك إلى قوله تعالى " أو أشتاتا " وكذلك الوقف على قوله تعالى " اليوم أحلت لكم الطيبات " المائدة ، والابتداء بما بعد ذلك . [٢]

٣- الوقف الحسن " هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعا . " [٣]

نحو قوله تعالى في سورة الفاتحة " الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم " الوقف على ذلك كله ، وشبهه حسن ، لأن المراد مفهوم . والابتداء بقوله "رب العالمين " و " الرحمن الرحيم " " ومالك يوم الدين " لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح .

٤- الوقف القبيح " وهو الذي لا يعرف المراد منه ، وذلك نحو الوقف على قوله: بسم ، ومالك ، ورب . " [٤] ، لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء

[1]- النساء ، الآية : ٢٣ .
[2]- انظر ، أبو عمرو الداني ، المكتفى ، ص١٠٩ .
[3]- المصدر نفسه ، ص١٠٩ .
[4]- الداني ، المكتفى ، ص١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضيف. وهذا يسمى وقف الضرورة لتمكن انقطاع النفس عنده . والجملة من القراء وأهل الأداء ينهون عن الوقف على هذا الضرب وينكرونه ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع إلى ما قبله حتى يصل بما بعده فإن لم يفعل فلا حرج عليه. " [١]

فإذا قرأنا " لقد سمع الله قول الذين قالوا " [٢] ثم نبتدئ بقوله تعالى:" إن الله فقير". أو قرأنا " ولقد كفر الذين قالوا " [٣]. ثم نبتدئ بقوله تعالى : " إن الله هو المسيح ابن مريم " . فالوقف على المواضع السابقة يؤدي إلى إيهام يخرج المعنى عن جهة القصد .

ومن أمثلة الآيات التي يجب علينا أن نراعي فيها الوقف قوله تعالى :

" ولا يحزنك قولهم / إن العزة لله جميعا . " [٤]

" وما يعلم تأويله إلا الله / والراسخون في العلم يقولون . "[٥]

" سبحانه أن يكون له ولد / له ما في السماوات وما في الأرض . "[٦]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص١١١ .
[2]- آل عمران ، الآية : ١٨١ .
[3]- المائدة ، الآية : ١٧ .
[4]- يونس ، الآية : ٦٥ .
[5]- آل عمران ، الآية : ٧ .
[6]- النساء ، الآية : ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أنواع الوقف في كتاب الله ما أطلق عليه علماء القراءات (تعانق الوقف) نحو قوله تعالى في سورة المائدة :(قال إنها محرمة عليهم / أربعين سنة/ يتيهون في الأرض) فإذا وقفنا على (عليهم) فالمعنى أنها محرمة عليهم وأن التيه أربعون سنة . أما إذا وقفنا على (سنة) فالمعنى أنها محرمة عليهم أربعين سنة ومدة التيه في الأرض غير محددة بزمن ، أي تأجيل الوعد المزعوم لهم ، وأما على القول الأول فينفي الوعد أصلا .

أما الوقف بسبب انقطاع النفس فلا بأس به على أن لا يخل بالمعنى .

- أمثلة للوقف في كتاب الله :

" وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب " [1]فالوقوف بعد لفظ الجلالة يوضح لنا أن الذي يعلم تأويله هو الله أما في حالة الوصل فيكون المعنى أن الذي يعلم تأويله الله والراسخون في العلم. أما الوقف في غير كتاب الله فيكون عند انقطاع النفس في أغلب الأحايين إلا إذا اقتضى السياق الوقف للدلالة على أمر ما نحو قولك لشخص ما وأنت تعاتبه بضيق لأنه لم يأت للموعد فتقول له : أتيتك البارحة / (مع نفس) و لم تأت .

[1]- آل عمران ، الآية : ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حركة الحرف في البنية

ومن العوامل التي لها أثر في الدلالة في الدراسات الصوتية حركة الحرف في البنية إذ تفرق العرب أحيانا بين المعنيين وذلك من خلال حركة الحرف في بنية الكلمة فيختارون " صوت الحركة الأقوى للمعنى الأقوى والصوت الأضعف للمعنى الأضعف . " [١]

أ – اختلاف الصوائت القصيرة

وذلك كقولنا : ذِلّ للدابة و ذُلّ للإنسان .

وهذا ملمح صوتي في التفريق في الدلالة .

ب – اختلاف الصوائت الطويلة

وذلك في : يَقولُ / يَقيلُ

الفاء وحروف النطع

ومن العوامل الفاء وحروف الذلاقة والنطع فأصوات الذلاقة هي (ر ــ ل ــ ن) وأصوات النطع هي (ط ــ د ــ ت) والشاهد هنا أن اجتماع صوت من أصوات

[1]- حسام النعيمي ، ابن جني عالم العربية ، ص٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النطع وآخر من أصوات الذلاقة مع صوت ثالث من غيرهما يؤدي في بعض المفردات إلى ما أسميته سابقا بمنطقة المعنى العام نحو : (ط- ل – ف) (ط – ر – ف) (ط – ن – ف) (ت – ل – ف) . (ت – ر – ف) (ت – ن – ف) (د – ل – ف) (ف – ر – د) .

(د – ن – ف) .

فأكثر أحوال تلك المفردات ومجموع معانيها للوهن والضعف .[1] إن المتأمل في الدراسات الصوتية ووظائف الصوت يجد ضرورة ملحة لدراسة الصوت وظيفيا وأثر الصوت على تغيير الدلالة ، إن الباحث في هذا الفصل حاول أن يدرس الصوت وظيفيا مبينا أثره على الدلالة والمعنى مجتهدا في حصر أهم هذه العوامل الصوتية .

[1]- انظر لمزيد من التفصيل ، حسام النعيمي ، ابن جني عالم العربية ، ص٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفـــصل الثالـــث

التـــركيـــب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجملة العربية

شغل تعريف الجملة العربية العلماء ، وحصل التباس في التفريق بين الكلام والجملة ، الأمر الذي أفضى إلى عدم وضوح في مفهوم كل من الجملة والكلام ، إذ يرى ابن جني أن الكلام " كل لفظ مستقلٍّ بنفسه مفيدٍ لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل ، نحو زيد أخوك ، وقام محمد ... وصهْ ومهْ ... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو الكلام . " [١]

فابن جني في تعريفه يجعل الجملة والكلام مصطلحين لمعنى واحد إلا أن واحدا منهما للنحويين والآخر لغيرهم مع اشتراطة الإفادة . وهذا ما عارضه السيوطي إذ ذهب إلى أن " تخصيص الكلام بالمفيد مجرد اصطلاح لا دليل عليه ." [٢]

وبهذا يتبين لنا عدم وضوح مفهوم كل من الجملة والكلام عند النحويين أو اللغويين ويعود ذلك إلى عدم وجود ملمح تمييزي واضح يمكنهم من التمييز بين المصطلحين ووضع حد نرتضيه لكل منهما . فما اعتمدوا عليه هو نقل بعضهم عن بعض : فسيبويه يرى أن الكلام لا يطلق إلا على الجمل المفيدة " واعلم أن (قلتُ) إنما وقعت في كلام العرب على أن يُحكى بها وإنما تَحكي بعد القول ما كان كلاما لا قولا ،

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، ص١٧ .
[2]- السيوطي ، همع الهوامع ، ج١ ، ص١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحو قلتُ : زيد منطلق ، لأنه لا يحسن أن نقول : زيد منطلق ولا تُدخل (قلـــت) . وما لم يكن هكذا أسقط القول عنه ." [١] وبذلك نجد الكثير قد أخذوا عن ســـيبويه الفكرة الرئيسة ثم عملوا على محاكاة ماذهب إليه .

أما صاحب المفصل فينظر إلى الكلام من الناحية التركيبية مع ذهابـــه إلى أن الجملـــة والكلام نفس الشيء : " والكلام هو المركب من كلمـــتين أســـندت إحـــداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك : زيد أخوك ، وبِشر صـــاحبك ، أو في فعل واسم نحو قولك : ضرب زيد ، وانطلق بكر ، ويسمى الجملة . " [٢]

وعليه فإن الجملة – عند كثير من النحاة – اللفظ المفيد فائدة يـــحسن الســـكوت عليها ،وهذا تعريف مطابق لتعريف الكلام عندهم . وعند ابن هشام " الكلام هـــو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه ، والجملـــة عبارة عن الفعل وفاعله كـــ : قام زيد ، والمبتدأ وخبره كـــ : زيد قائم ، وما كـــان بمنـــزلة أحدهما نحو ضُرب اللص ، وأقائم الزيدان وكان زيد قائما وظننته قائمـــا ، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس ، وهو ظـــاهر قـــول صاحب المفصل . فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال : (ويسمى جملة) ، والصواب

[1]- سيبويه ، الكتاب ، ج١ ، ص١٢٢ .
[2]- الزمخشري ، المفصل ، ص٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة ، بخلافهما ، ولهذا نسمعهم يقولون : جملة الشرط ، وجملة الجواب وجملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام ." [١]

عد ابن هشام جملة الشرط وجملة الصلة من الجمل ،وكل منهما لا يفيد معنى يحسن السكوت عليه. وبهذا يتبين الاضطراب في تعريف كل من الجملة والكلام . ومثل هذا الخلط حاصل عند الغربيين إذ نظر بعضهم إلى تعريف الجملة من ناحية المعيار الإسنادي وما يعبر عن فكرة متكاملة ، فالجملة " مجموعة من الكلمات المشتملة على مسند إليه ومسند المعبرة عن فكرة كاملة . " [٢]

أما مارتنيه فقد اعتمد على المعيار الإسنادي فقط دون النظر إلى المعنى إذ عرف الجملة بأنها " قولةٌ كل العناصر فيها ملحقة بمسند إليه واحد أو مسانيد إليها مختلفة معطوف بعضها على بعض . " [٣]

بينما نرى هاريس ينظر إلى الجملة من خلال معيار الوقف – القول الذي يقع بين سكتتين – لذلك فهو يعرف الجملة أنها " كل امتداد من حديث لشخص واحد يقع بين سكتتين من قبل ذلك الشخص . " [٤]

---

[1]- ابن هشام ، المغني ، ص٤٩٠ .
[2]- فندريس ، اللغة ، ص٢٤٢ .

[3]- Martinet , Elements Of General Linguistics. P.152
[4]- Lyons , Introduction To Theoretical Lingustics. P172.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما بلومفيد فقد اعتمد في تعريفه للجملة على معيار القواعد النحوية ، وحَد الجملة بقوله هي : " مبنى لغوي مستقل غير محصور – بمقتضى أية تركيبة قواعدية – في أي مبنى لغوي كبير ." [١]

ومما نلحظه أن الغالبية تحاول أن تصل إلى أن الجملة يجب أن تحمل إفادة ما أو معنى ما، وهذا ما يتفق عليه الكثير من نحاة العرب والغربيين . إلا أن الباحث يرى أن الدكتور خليل عمايرة قد أصاب في التفريق بين الجملة والكلام مستأنسا بتعريف القدماء لكل منهما ؛ إذ جعل عمايرة التفريق قائما على المعنى " والذي نرتضيه هو ما يرتضيه الزمخشري وابن يعيش حدا للكلام ، حدا للجملة ، ونخالفه كما نخالف من تبعه في أن الكلام هو الجملة ، ونخالف ابن هشام ومن سار على منهجه في ان الكلام أخص من الجملة وهي أعم منه ، فنرى أن الجملة ما كان من الألفاظ قائما برأسه مفيدا لمعنى يحسن السكوت عليه فـ : قام زيد، جملة ، وزيد مجتهد ، جملة ، وصه ، جملة ، وأفٍ ، جملة ، والنارَ ، جملة ، وأخاك أخاك ، جملة ، وإن تدرس تنجح ، جملة وإن تحضر فأنا مكرمك ، جملة ، ووالله إن محمدا رسول ، جملة ، ذلك لأن كل مجموعة مما سبق تؤدي بلبناتها كلها معنى يحسن السكوت عليه ولو نقصت لبنة واحدة

[1] - Bloomfield , Language , 170.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاختل المعنى . ونرى كذلك : أن الكلام تآلف عدد من الجمل للوصـــول إلى معـــنى أعم مما في الجملة وأشمل، وعلى ذلك فقد كان القرآن كلام الله والشعر والنثر كـــلامَ العرب . " [١]

وبهذا نرى أن الدكتور عمايرة قد ارتضى المعنى معيارا في التفرقة بين حدّي الكـــلام والجملة ، ويعد الباحث هذا المـــعيار منطلقا مهما في تعريـــف كل من الجمـــلة والكلام ؛ لأنه جوهر الدراسات اللغوية ، فنحن نبحث عن المعنى ، وعليه فالجملـــة يجب أن تحمل معنى يحسن السكوت عليه وكذلك الكلام ، إلا أنه يحمل معنى أعـــم وأشمل ، وكأنني به قد وضع التعريفين في دائرتين متماثلتين إلا أن إحداهما أكبر مـــن الأخرى وشاملة لها وهي دائرة الكلام .

ومن تحليل الكلام يمكن لنا اكتشاف المعنى الحقيقي الذي قد يحاول البعض استبطانه . فالكلام " يقع على القليل و الكثير ، والجملة لا تقع إلا على الواحد ولذا يـــصح أن يقال : جميع القرآن كلام الله ، ولا يصح : جملة القرآن كلام الله . ونقول: هذا كلام الله ؛ لأن الكلام عام ، ولا نقول قرآن الله لأنه خاص بكلام الله " [٢]

[1] خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص٧٧ – ٧٨ .
[2] - الكفوي ، الكليات ، ص٧٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقودنا هذا التفريق إلى النظر في النص و العمل الأدبي و الخطاب ومن ثم تحليل ذلك كله وفقا لمعايير نرتضيها . فالكلام بناء على التعريفين السابقين عبارة عن مجموعة من المعاني الجزئية الناتجة من الجملة الواحدة والتي بدورها تأتلف لتكون لنا كلاما يمكن تحليله بطريقة أشمل وأعم من تحليل الجملة ؛ إذ يدخل في النظر إلى الكلام عناصر إضافية نعتمد عليها في فهم أبعاده ، كشخصية المتكلم ، وتأثير بيئته فيه ، وطريقته الخاصة في إنشاء تعبيراته .

وعليه ، فإن على الباحث اللغوي أن يضع معايير معينة يستطيع من خلالها تحليل الكلام ، هذه المعايير يجب أن تراعي شمولية أفرع اللغة والتي تدخل في تركيب الجملة كالمعجم ، فينظر اللساني في العلاقة بين المفردات نفسها وبين المفردات والمتكلم ، ويتبصر في المبنى الصرفي للمفردات والقدرة على نظم الكلمات في الجملة الواحدة، ومن ثم في مجموعة من الجمل ، وأن يحاول إيجاد علاقة ما بين هذه الجمل المتعددة .

وفي سياق الجملة فقد نظر كثير من علمائنا إلى تقسيم الجملة نظرة تعتمد على الشكل أو المبنى دون النظر إلى المعنى . فالجملة الاسمية هي " التي صدرها اسم ، كـ : زيد قائم ، وهيهات العقيق . والفعلية : التي صدرها فعل ، كـ : قام زيد وضُرب اللص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان زيد قائما وظننته قائما ، ويقوم ، وقم ... " [١] وزاد بعضهم الجملة الظرفية وهي " المصدرة بظرف أو مجرور ، نحو : عندك زيد ، أو في الدار زيد إذا قدّرت زيدا فاعلا بالظرف أو المجرور ، بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبرا عنه بهما ." [٢]

ويرى الباحث أن هذا التقسيم اعتمد على الشكل أو المبنى دون الاعتماد على المعنى . فجلّ التقسيمات كانت تقوم على الشكل . فمثلا صاحب المغني يرى أن المراد بصدر الجملة المسند والمسند إليه [٣] وعليه ، فإن جملة (كان أخوك صادقا) هي جملة اسمية . ولأجل الهروب من ذلك عدل الدكتور فاضل السامرائي في معنى صدر الجملة فقال :" وقد عدلت عن قول صاحب المغني (إن مرادنا بصدر الجملة المسند والمسند إليه) إلى القول إن المراد بصدر الجملة الفعل والمسند إليه لأخرج من الخلاف في نحو (كان زيد قائما) و (ظننت محمدا مسافرا) فإنهما على ما قررنا يكونان من الجمل الفعلية على جميع الأقوال . " [٤]

---

[1]- السيوطي ، همع الهوامع ، ج١ ، ص١٣ .
[2]- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣ .
[3]- انظر ، ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص٤٩٢ .
[4]- فاضل السامرائي ، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، ص١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمحاولة السامرائي كانت شكلية في تصنيف الجملة الفعلية ، وتسويغه اعتمد على الشكل و لم يعتمد على المعنى ، فالمسألة لا تعدو أن تكون هناك زيادة على الجملة الاسمية وهي الفعل الناسخ ، وبهذا فإن الجملة تبقى اسمية .

أما الخلاف الذي وقع حول تقديم الفعل على الفاعل ، نحو : (زيد يذاكر) ، فيمكننا الاعتماد فيه على نظريات النحو ، فلو كانت فعلية فلا يجوز أن يدخل عليها الأفعال الناسخة أو الحروف الناسخة ولكننا يمكن أن نقول (أصبح زيد يذاكر) و (إن زيدا يذاكر) إذن فهي جملة اسمية ، والدكتور السامرائي ــ مخالفا الكوفيين والأخفش وبعض المعاصرين ــ يؤكد ذلك : " والراجح فيما أرى أن نحو (محمد يحضر) جملة اسمية لا فعلية وذلك لجواز دخول النواسخ عليها ، وهي لا تدخل إلا على الجمل الاسمية نحو: (إن محمدا يحضر) ، ولو كانت الجملة فعلية لم تدخل عليها النواسخ . "[1] وهذا مخرج لطيف من السامرائي . وعليه فإن النظرة إلى الجملة يجب أن تجمع بين الشكل و المعنى بنسق متلائم ، بحيث لا يكون التسويغ قائما على الشكل دون المعنى أو على المعنى دون الشكل ولكن على الاثنين معا .

[1]- فاضل السامرائي ، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، ص١٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالجملة الاسمية تتكون من : مسند إليه + مسند

(مبتدأ) + (خبر)

والجملة الفعلية تتكون من : مسند + مسند إليه

(فعل) + (فاعل)

وقد يحدث هناك تحويلات وتبديلات على الجملة سواء من الناحية الشكلية أو من ناحية المعنى ، وبذلك علينا أن نحتكم إلى الاثنين معا . ومن أمثلة تلكم التحويلات (هيهات العقيق) و (صه) ...الخ .

فالتصنيف النحوي لـ (هيهات و صه) أسماء أفعال ، فهي مفردات قريبة للفعل أكثر منها إلى الاسم ، فأنت عندما تقول لشخص ما (صه) فأنت تأمره بفعل السكوت ، وكذلك(هيهات) التي تحمل معنى فعل البعد ، فالجملة التي تبدأ بأسماء الأفعال هي جمل فعلية .

وعند تحليل جملة مثل (يا أحمد ...) يكون التحليل على النسق الآتي :

يا + أحمد + محذوف

(زائدة) + أصل + (حذفه أبلغ من ذكره)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا فأول الجملة كلمة (أحمد) وهي اسم . والجملة هنا اسمية .

أما في جملة (نعم القائد خالد) ، فأصل الجملة :

القائد خالد + عنصر زيادة في المعنى (نعم

عنصر زيادة + مسند إليه في الأصل (القائد) + مسند في الأصل (خالد)

والزيادة كما ارتأى الباحث لا تعد عاملا في تصنيف الجملة وبذلك فإن الجملة اسمية .

أما في الآية الكريمة (والليل إذا يغشى) . فقد يتوهم البعض أن أصل الجملة في الآية (الليلُ يغشى) إلا أن (الليل) جاءت مجرورة والحركة الإعرابية على ما نعرض لـــه بالتفصيل – لها دلالة على المعنى ، وترشدنا إلى المحذوف ، فهي بذلك قرينة دلاليـــة ، وبذلك فلا بد من معرفة المحذوف لنتبين أصل الجملة . وعند النظر في كتب التفاسير نجد الطبري يقول : " يقول – تعالى ذكره – مُقْسِما بالليل إذا غشي النهار بظلمتـــه فأذهب ضوءه وجاءت ظلمته (والليل إذا يغشى) النهار ، (والنهار إذا تجلى) وهذا أيضا قسم ، أقسم بالنهار إذا أضاء فأنار وظهر للأبصار .." [١]

[1]- الطبري ، البيان في تأويل القرآن ، ج١٢ ، ص٦٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد القسم الفراء إذ يقول في هذه الآية : " وقوله عز وجل : (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم . " [١]

وبهذا يتأكد لنا أهمية المعنى والشكل في الحكم على ما هية الجملة ومن ثم تحليلها ، فالشكل هنا حركة الجر دلت على المحذوف وهو فعل . والمعنى من خلال التفسير أكد لنا أن هناك محذوفا ، وهو فعل القسم . وعليه تكون الجملة في الآية السابقة فعلية .

وفي سياق الجملة نفسها ذهب بعض النحاة إلى القول بوجود الفضلة في الجملة – ما ليس مسندا ومسندا إليه – . ويرى الباحث أن من ذهب إلى القول بالفضلة قد جانبه الصواب ؛ إذ لا فضلة في الجملة . فكل كلمة تؤدي معنى ، وقد تكون هذه الكلمة محور المعنى القائمة عليه الجملة ، ففي قوله تعالى : " وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى " [٢]. أيعقل أن تكون كلمة (كسالى) هنا وفي هذا السياق فضلة ؟ وهل يمكن الاستغناء عنها ؟ وهل يكون المعنى بدونها هو المعنى المراد والذي من أجله أنشئت الجملة ؟ فكلمة (كسالى) تحمل معنى مهما في سياق الجملة ، ولا تستقيم الجملة ومن ثم الآية ــ إلا بها .

[1]- الفراء ، معاني القرآن وإعرابه ، ج٣ ، ص٢٧٠ .
[2]- النساء ، الآية : ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرى أن ما سماه البعض بالفضلة إنما هو جزء من أجزاء المعنى الذي جاءت به الجملة، وهذه الأجزاء تكوّن المعنى العام في الجملة ومجموع المعنى العام في الجملة يكون المعنى الكلي للكلام :

معان جزئية في الجملة

↓

معنى الجملة

↓

مجموعة معاني الجمل

↓

المعنى الكلي للكلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظرية التوليدية التحويلية وأثرها على دراسة الجملة

أخذت النظرية التوليدية التحويلية شهرة واسعة في الغرب ، وتأثر بها عدد غير قليل من علماء العربية ، وتقوم هذه النظرية أساسا على فكرة الفطرية اللغوية عند الإنسان. وهي بذلك تنتقد النظرية السلوكية عند بلومفيد ، وآراء سكنر العالم السلوكي : " إن هذه الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكلمات النحوية (القواعد الكلية) التي تقوم بضبط الجمل المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة ، تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم ، يختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه ، والتي هي كلية شمولية عالمية متساوية عند بني البشر تكون في الإنسان منذ ولادته . " [١]

[1]- خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاول تشومسكي من خلال هذه النظرية أن يثبت أن البنية العميقة متساوية مع البنية السطحية : " يمكن أن نفترض أن كلا من البنيتين العميقة والسطحية ستكونان متماثلتين على الدوام ، ويمكن في الواقع ، تلخيص الصفات العامة للنظريات النحوية التي ظهرت في الدراسات اللغوية البنيوية الحديثة التصنيفية بأنها مبنية على افتراض أن البنيتين العميقة والسطحية هما في حقيقة الأمر شيء واحد . " [١]

والناظر في هذه النظرية يجد أنها جانبت الصواب في بعض قوانينها ، فليس من المعقول أن تكون القواعد والقوانين اللغوية متساوية عند الجميع . إذ يرى الباحث أن جزءا كبيرا من هذه القوانين مكتسب وليس فطريا ، وكذلك لا يعقل أن تكون القدرة الكامنة في الذهن لتوليد الجمل هي أيضا متساوية عند متكلمي البيئة اللغوية الواحدة ، ثم إن انقداح الفكرة في الذهن (البنية العميقة) لا تكون ، كما هي ، جملا مسموعة أو مكتوبة ، فالذي يحدث عند انقداح فكرة ما في الذهن أن يأخذ المتكلم هذه الفكرة ويبدأ بالتعبير عنها مستخدما تراكيب معينة يقصدها ، ويستخدم ألفاظا بأعيانها ينتقيها من معجمه مراعيا بذلك المقام السياقي والمقام الحالي ، لذلك نرى المتكلم يقصد جملا بتراكيب وأساليب محددة ، وهنا تبرز الكفاية اللغوية وتفاوتها عند بني البشر ، وحتى

[1]- تشومسكي ، جوانب من نظرية النحو ، ص٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند أهل اللغة الواحدة ، وهذه الكفاية متفاوتة بحسب درجة التعلم والممارسة . وهذا الأمر أوضح في اللغة العربية منه في غيرها .

واقترح تشومسكي أن يكون شكل القواعد على النحو الآتي : " تحتوي على مكون نحوي ، ومكون دلالي ، ومكون فنولوجي . وهذان الأخيران تأويليان ، ولا يلعبان أي دور في توليد المتسلسل للبنى الجملية . " [١]

فالبناء النحوي عند تشومسكي يتألف من مكون أساسي ومكون تحويلي ، وفي المكون الأساسي تتكون البنية العميقة ، ولأن المكون الدلالي يتشكل بداية في البنية العميقة ، إذن لا تأثير له إلا إذا ظهر في البنية السطحية ، بشكل تأويل صوتي له قوانينه الخاصة كما بينا فيما سبق . وبهذا يتبين لنا أن تشومسكي جانب الصواب في التهوين من أثر المكون الفنولوجي في توليد جمل متسلسلة .

أما المكون الدلالي فيرى الباحث أنه يتغير وفقا لعوامل عدة : فالمكون الدلالي في البنية العميقة يختلف عنه في البنية السطحية ، وهذا أمر بدهي ، إذ عند انقداح معنى دلالي في ذهن المتكلم فإنه يكون معنى مجردا بسيطا يأخذه المتكلم ويعبر عنه بأساليب محددة وتراكيب مقصودة وبنى صرفية معينة ومراعيا المقام ، وما إلى ذلك ، مما يجعل المعنى

[1]- تشومسكي ، جوانب من نظرية النحو ، ص١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مختلفا عما كان عليه في ذهنه في البنية السطحية ، ولذلك لا يمكن لنا أن نتجاهل المكون الدلالي كما يرى تشومسكي .

وبهذا فإن الباحث يرى أن الجملة بعد توليدها وانتقالها من البنية العميقة إلى البنية السطحية لا يمكن أن تكون هي نفسها كما كانت في البنية العميقة ، فنحن أمام جملتين مختلفتين نحويا ودلاليا وصوتيا ؛ فالثانية (السطحية) متطورة عن الأولى (العميقة) ، فالسطحية تشمل العميقة والعميقة لا تشمل السطحية .

فـ (محمد مخلص) لا تطابق في دلالتها (إن محمدا مخلص) ، وهذه لا تطابق (إن محمدا مخلص في عبادته) . وهو أمر أوضح من أن نسترسل فيه .

إن لعناصر التحويل دورا في المبنى والمعنى لا يمكن تجاهله ، وقد ألمع إلى ذلك الجرجاني من قبل ، فكان له السبق على كثير من علماء اللغة المعاصرين والمحدثين : " ليس إلا أنه قدّم وأخّر وعرّف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف موضع صوابه ، وأتى مأتىً يوجب الفضيلة . " [1]

[1]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يؤكد أن المتكلم يحاور المعنى المنقدح في ذهنه من خلال الألفاظ ومن خلال جملة من الأساليب والتراكيب النحوية وما يفرضه عليه المقام ، فالمعنى يتكـــون في ذهـــن المتكلم أولا على شكل جملة بسيطة كما ذكرنا مجردة من أية زيادة ، أو تحويل ، وبعد ذلك يأخذ شكله في الكلام . ولذلك كان علينا معرفة العلاقة القائمة بين المعـــاني في النفس والألفاظ الدالة عليها : " .. وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علـــم بمواقـــع الألفاظ الدالة عليها في النطق . " [١]

وجملة الأمر أن انتقال المعنى من ذهن المتكلم إلى التعبير عنه صوتيا أو كتابيا يكـــون بإحدى طريقتين : الطريقة الأولى وهي التعبير عما في الذهن بطريقة بسيطة ونقلـــها دون أي تغيير ، والطريقة الثانية وهي التعبير عما في الذهن عبر عدة عناصر تحويليـــة تدخل على جملة النواة فتحدث فيها تغييرا يقصده المتكلم . وسنتناول هذه العناصـــر بالتفصيل .

[1]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الترتيب (التقديم والتأخير)

يعد الترتيب من العناصر التي تؤثر في المعنى داخل السياق ، إذ يعمد المتكلم إلى ترتيب المورفيمات بطريقة مقصودة كي يحقق معه المعنى المراد . وقد عرفت العربية التقديم والتأخير ، فاستخدمه المتحدثون ، والأدباء وغيرهم ، كل حسب مكنته من اللغة . والترتيب قائم في الوعي العقلي عند المتكلم ، فيعمد إليه إذا وجد له مسوغا . والعربية موارة بهذا الأسلوب وهذا يدل على أن التقديم والتأخير مطلب مهم في التركيب ، الأمر الذي يستدعي معرفة نحوية وأخرى بلاغية في هذا الأسلوب . والمتأمل في الترتيب يجده قائما إما على القياس ، وإما ما يسهله الاضطرار . [1]

ولقد اهتم العرب القدماء بالترتيب اهتماما جعله من سنن كلامهم " من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخيره وهو في المعنى مقدم كقول ذي الرمة :

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص٣٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما بال عينكَ منها الماء ينسكب

أراد : ما بال عينك ينسكب منها الماء . " [١]

لذلك وجب على الناظر في التقديم والتأخير أن ينظر من أكثر من جانب لكي يتعرف على سبب صياغة مثل هذا الترتيب ، ويدرس أهمية مواقع الكلمات في الجمل ، وجماليات النظم ، وأن يتبين حالة المتكلم وحالة المتلقي . والمتلمس للتقديم والتأخير يجده " كثير الفوائد ، جم المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعةٍ ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك أن قُدم فيه شيء وحُول اللفظ عن مكان إلى مكان . " [٢]

والتقديم والتأخير على وجهين : وجه على نية التأخير وآخر لا على نية التأخير ، وهذا تقسيم نحوي لن أعمد إلى الخوض فيه إذ ما يعنيننا هنا أثر التقديم والتأخير على المعنى . وعلى الناظر في الترتيب أن ينظر بعناية ولطف إليه فيعرف لماذا كان التقديم ، وما أثره على المعنى ، فلا يكفي أن يقال : " إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم من غير أن

[1]- أحمد بن فارس ، الصاحبي ، ص٢٤٤ .
[2]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر ، من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان أهم ؟ " [١]

إذن فالترتيب له دور في المعنى وليس الأمر مجرد ضرب من الترف النظمي ، أو نوع من أنواع التوافق الموسيقي يقول إبراهيم أنيس : " أما التقديم في مثل الآيات القرآنية (إياك نعبد وإياك نستعين - وإياي فاعبدون – ولكن كانوا أنفسهم يظلمون – خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه – فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) ، فالأمر فيه لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية ، فهي إذن أشبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص . " [٢]

وقول إبراهيم أنيس غير مقبول ، فكيف يكون التقديم والتأخير من أجل مراعاة الفواصل القرآنية مع أن الله قادر على المحافظة على ترتيب الجملة كما هو مع مراعاة للفواصل القرآنية . وهناك تقديم وتأخير لا علاقة له بالفاصلة القرآنية ، وجانب آخر وهو أن التقديم والتأخير يقوم أساسا على تحقيق معنى بعينه ، وقد يتوافق هذا التغيير في الترتيب مع فواصل معينة أو مع إيقاع موسيقي معين ، ولكن لا معنى للتقديم والتأخير من أجل المحافظة على الإيقاع الموسيقي وحده ، ولو صح ذلك لما رأينا كثيرا من الأمثلة التي تحتوي على تقديم وتأخير ولا نجد دورا للإيقاع الموسيقي . ففكرة التقديم

[1]- المصدر نفسه ، ص١٠٨ .
[2]- إبراهيم أنيس ، من أسرار العربية ، ص٣٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتأخير قائمة على المعنى ليس إلا " فالتقديم يكون دائما لغرض يتعلق بالمعنى وليس لغرض يتعلق بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلام ولا هو تارة لمعنى وأخرى لموسيقى الكلام . " [١]

إذن فالمسألة ليست مجرد بناء شكلي فحسب بل الأمر أوسع من ذلك وأهم من النظرة الشكلية الضيقة . ومع أهمية المعنى الذي نجده في التقديم والتأخير فإننا لا نقبل به إلا إذا وافق نظام الجملة العربية .فهناك حالات لا يجوز فيها التقديم والتأخير وقد ذكرها ابن السراج في أصوله [٢] .

فإن حدث تقديم وتأخير موافق لنظام العربية فلا بد من فائدة منه على جميع الأحوال ؛ لأن المتكلم ما قدم وأخر إلا لغاية يريدها : " واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين : فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض . وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر أو الكاتب ، حتى تطّرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه ؛ ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى . " [٣]

---

[1]- خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص٩٠ .
[2]- انظر ، ابن السراج ، الأصول في النحو ، ج٢ ، ص٢٢٢ .
[3]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الباحث أن التقديم والتأخير يجب النظر إليه من غير جانب كي نتمكن من التعرف على كنهه وبلاغته . ومن هذه الجوانب :

- **العلاقات** :

من المفيد النظر إلى الترتيب من ناحية العلاقات بين الكلمات نفسها ؛ أي أن يحاول المتبصر أن يجد علاقات بين المفردات في التركيب . ولعل من أهمها التلازم بين الكلمة المتقدمة والكلمة المُتَقدَّمِ عليها ، وما هو تصنيف الكلمة ، وهل كان التقديم بين كلمات بأعيانها أم بين كلمة وشبه جملة .

ومن هذه العلاقات العلاقة التخاطبية ، أي النظر في طبيعة المتكلم والمتلقي ؛ إذ يمكننا من خلال هذه العلاقة معرفة دواعي هذا الترتيب ، ولماذا لجأ المتكلم إلى مثل هذا النسق في رصف الكلمات . فتقديم المفعول في (إياك نعبد وإياك نستعين) مناسب لطبيعة المتلقين ، وهم مشركو قريش ، الذين كان الشرك المأخذ الأكبر عليهم ، فأسلوب القصر في الآية أثبت الوحدانية لله ، وهز عندهم أكبر معتقداتهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه العلاقات العلاقة السياقية الحالية والتي تهتم بالتركيب ولـــيس المقـــام ؛ لأن للمقام وضعا خاصا به سنذكره في حينه[١] . فمعرفة السياق الحالي يمكننا من استظهار جماليات التقديم والتأخير ، إذ إن السياق يفرض نوعا من الترتيب داخل التركيـــب ، فكان لا بد من دراسة السياق الحالي لمعرفة أثره على الترتيب في التركيب .

وللعامل أثر في دراسة التقديم والتأخير . فالعامل لا يمكن الاستغناء عنه في التركيـــب النحوي ، وما يجب علينا النظر فيه هو : إلى أي حد يمكن أن يؤثر العامل في ترتيـــب التركيب في الجملة ؟

يرى الباحث بإمكانية وجود فاصل بين العامل ومعموله ، وبإمكانية تقدم المعمـــول على العامل . وعليه يجب أن ننظر بتوسعة لنظرية العامل على أن تخدم هذه النظـــرة قضية بلاغية أو جمالية ، أو تحليلية ، فالعامل يملك مرونة داخل التركيب تمكنه مـــن الحركة فيه لغرض بلاغي مقصود .

هذه أهم العلاقات التي ترتبط بالتقديم والتأخير ، وهي بذلك تكون على النحو الآتي :

---

[1]- انظر ، ص من الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

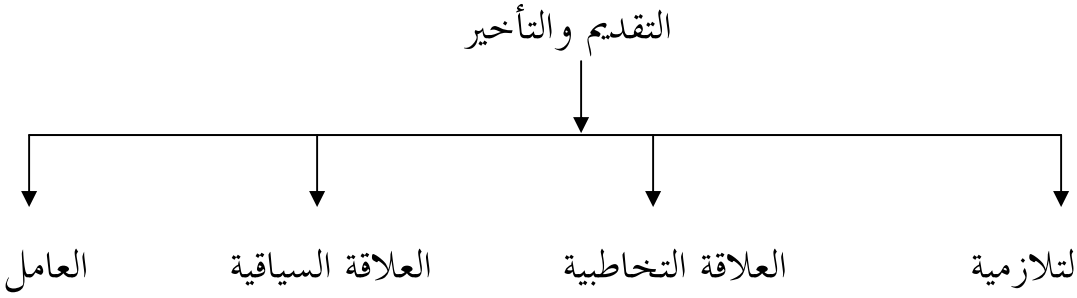

أمثلة للتقديم والتأخير

أ- تقديم اللفظ على عامله :

من ذلك قوله تعالى :

- قوله تعالى : " بل اللهَ فاعبد وكن من الشاكرين . " [١]

قدم المفعول به في الآية على الفعل (فاعبد) وهو العامل في نصب المفعول ، الخطاب هنا موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والعلاقة بين لفظ الجلالة (الله) وبين (فاعبد) علاقة مشتركة ، فالله هو المستحق للعبادة . وتزداد قوتها إذا كانت موجهة إلى رسوله الكريم . ومن سياق الآية نتبين اللطيفة في تقديم المفعول به فقد " ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قـــال إن

[1]- الزمر ، الآية : ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشركين بجهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة آلهتهم ويعبدون معه إلهه ...." [١]

ففعل العبادة مشترك بين الرسول الكريم والمشركين ، إلا أنه صلى الله عليه وسلم يعبد الله وهم يعبدون الأصنام ، لذلك كان الخلاف على المعبود وليس على العبادة ، فقدم المفعول به وهو (الله) ؛ للتركيز على أن المعبود هو الله وحده وهو المستحق للعبادة : " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته بل الله فاعبد دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد . " [٢]

ومن ذلك قوله تعالى :

- " وعلى الله فليتوكل المتوكلون . " [٣]

المعلوم أن العلاقة بين التوكل والله قائمة في عرف أهل الإيمان ومعتقدهم ؛ لذلك فهناك علاقة بين كلمة (الله) و (التوكل) ، والعلاقة التخاطبية على هذا المفهوم قائمة بين المتكلم وهو لفظ الجلالة (الله) والمخاطب وهم الطائفة المؤمنة .

---

[1]- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٧ ، ص١١٢ .
[2]- الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج١١ ، ص٢٣ .
[3]- إبراهيم ، الآية : ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاءت هذه الآية في سياق التوكل على الله القدير (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلـــون) . فالتوكـــل حاصل منذ بداية السياق الحالي والمقامي ، ففي بداية الآية كان ذكر التوكل دون أن يسبق بأي خبر أو حدث ، ولكن بعد أن ذكر الحدث أو ما يدل على أن التوكل على الله أصبح في أعلى درجات الحاجة الملحة لا سيما حصول الأذى فأصـــبح التوكـــل معروفا ولا يبحثون عنه ، بل ما يريدونه هو محل التوكل وليس ذات التوكل ، لذلك قُدم (على الله) . فهم يبحثون عن ذات يتوكلون عليها وليس على التوكل نفسه :

" فإن قلت : كيف كرر الأمر بالتوكل ؟ قلت : الأول لاستحداث التوكل ، وقوله (فليتوكل المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على ما اســـتحدثوه مـــن توكلـــهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم . " [١]

٢- تقديم اللفظ وتأخيره على غير عامله .

ومما يورد من ذلك قوله تعالى :- " ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كـــل شـــيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل. " [٢]

[1]- الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ ، ص٢٩٦ .
[2]- الأنعام ، الآية : ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– قوله تعالى : " ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ."[١]

إن المتأمل في الآيتين السابقتين يجد أن التقديم والتأخير له دور في المعنى المراد . وتبعا لما ذكرناه من علاقات يجب التنبه إليها حين تحليل الترتيب القائم في النص ، فإننا نجد أن للعلاقة التلازمية بين المفردات والحالة السياقية أهمية واضحة في تعليل مثل هذا الترتيب. ففي الآيتيين السابقتين نجد التأكيد على الحقيقتين : توحيد الألوهية وتأكيد الخلق لله وحده ، ولأن الأمر كذلك فقد جاءت كل آية لتحقق معنى رئيسيا أوليا في الآية ، ثم تنتقل بعد ذلك إلى المعنى الثاني ، ويتحكم بذلك السياق في كل من الآيتين ، فالآية الأولى سبقت بالآية الآتية : " بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد و لم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ." [٢]

فالآية تركز على وحدانية الألوهية ونفي الولد أو الصاحبة عن الذات الإلهية ، وهو مع هذه الوحدانية هو خالق كل شيء .

أما الآية الثانية فقد سبقت بالآية الآتية (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) .[٣]

---

[1]- غافر ، الآية : ٦٢ .
[2]- الأنعام ، الآية : ١٠١ .
[3]- غافر ، الآية : ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد جاءت الآية السابقة لتقرر أن حقيقة الخلق لله وحده مع ذكر النعم التي أنعمها الله على عباده ،ويتفضل بها عليهم ، فجاءت الآية التي تليها لتقرر حقيقة الخلق أولا ثم تقرر حقيقة الوحدانية لله وحده ، بعكس الآية السابقة في سورة الأنعام والتي ذكرت صفات تخص الذات الإلهية . ونجد تأكيدا لما ذهبنا إليه في ختام كل آية ، ففي سورة الأنعام ، لأن الأمر متعلق بالوحدانية والعبودية ، جاءت نهايتها (فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل) . أما في سورة غافر فكانت نهاية الآية (فأنى تؤفكون) ، وتؤفكون أي تنصرفون عن الحق وهو أن الله خالق كل شيء . ومما يؤكد قولنا أن (تؤفكون) بهذا المعنى الآيةُ التي تليها وهي (كذلك يُؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) ، فالمشركون يجعلون لله شريكا في الخلق . لذلك كانت الآية على هذا النسق من الترتيب .

– قوله تعالى : وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "[1].

[1]- النحل ، الآية : ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– قوله تعالى : " وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كلّ تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "[١].

إن المتأمل في الآيتين السابقتين يصعب عليه أن يجد تعليلا لمثل هذا الترتيب المختلف فيهما . وبالنظر في العلاقة التلازمية بين المفردات يمكن لنا أن نحاول تعليل مثل هذا التقديم والتأخير . وأرى أن ننظر في المعنى المعجمي لكل من (الفلك) و (مواخر)، ويرى الباحث أنه لا يستقيم المعنى إلا إذا كان معنى (الفلك) هنا : " الموج إذا ماج في البحر "[٢] و (مواخر) ، مجرى الريح وصوته .[٣] ومن خلال العلاقة التلازمية يرى الباحث أن في الآية الأولى كان الحديث عن بحر واحد ، هذا البحرفيه أمواج عالية ، وفيه أصوات شديدة نتيجة لهذه الأمواج ، أما في الآية الثانية فالحديث عن بحرين : الأول عذب والآخر مالح ، وهذا يعني أن البحر الأول وهو العذب لا أمواج فيه بقدر البحر المالح . وبالجمع بين الاثنين تكون الأمواج بسيطة وهادئة وقد يكون فيه أو يسمع فيه

[1]- فاطر ، الآية : ١٢ .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، باب (فلك) ج١٠ ، ص٤٧٨ .
[3]- انظر ، المصدر نفسه ، باب (مخر) ، ج٥ ، ص١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصوات ، أما الأول فالأصوات المرتفعة صفة لازمة له ؛ لذلك جاء الترتيب : (مواخر فيه) للتدليل على الكثرة ، أما الثاني فعلى القلة لذلك جاء الترتيب (فيه مواخر) . والله أعلم .

إن العربية زاخرة بالتقديم والتأخير شعرا ونثرا ، يعمد إليها المتكلم لغاية في نفسه إلا أن استخدام هذا الأسلوب بوعي وبفطنة يحتاج إلى دربة ومعرفة بالعربية نفسها ، فالعربي كان على علم بهذا الأسلوب يمارسه في حديثه اليومي وفي خطبه ناهيك عن شعره .

فهذا معاوية يخطب قائلا : " أيها الناس : إن لإبليس من الناس إخوانا وخُلانا ، بهم يستعد ، وإياهم يستعين ، وعلى ألسنتهم ينطق .... " [١] فالمتأمل في افتتاحية خطبة معاوية يمكنه أن يلحظ الحالة السياسية السائدة ، وكان للتقديم والتأخير الأثر الكبير في إظهار مثل هذه الحالة .

وهذا الأعشى الكبير يطربنا بهذا البيت الذي جمله بهذا الأسلوب وذلك قوله :

يضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مؤزر بعميم النبت مكتهل

[1]- أحمد صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطربنا المتنبي بقوله :

وراجع الشمسَ نورٌ كان فارقها كأنما فقده في جسمها سقمُ

هذه أمثلة عن التقديم والتأخير في العربية ، نثرا وشعرا ، وعلى المتبصر بها أن يتـــذوق المعنى وجمالياته في الترتيب المختلف ، مستأنسا بمجموعة العلاقات التي كنـــت قـــد ذكرتها آنفا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحذف

يعد الحذف عنصرا من عناصر تحقيق الدلالة ، وقد اهتم كل من النحاة والبلاغيين بالحذف كل بحسب حاجته له . ويرى الباحث أنّ محاولة الجرجاني كانت الدمج بين النظرتين البلاغية والنحوية ، محاولا تخليص الدرس النحوي من الجمود الذي أصابه على أيدي بعض النحاة ، مع إظهار جماليات الدرس النحوي ، والابتعاد به عن التسويغات غير المنطقية لبعض المشاكل النحوية التي اعترضت الدارسين .

وفي هذا المجال من البحث لن أعمد إلى تعديد أنواع الحذف ، بل سأعمد إلى تبيان ماهية الحذف وحقيقته ، وأثره على الدرس النحوي من خلال نظرة لسانية ، معتمدا في ذلك كله على المعنى وتحقيق الدلالة في المجمل . وسأعمل في هذه الدراسة على الانطلاق من فهم حقيقة الحذف مع مراعاة لجملة من القواعد النحوية التي من شأنها أن تحافظ على المنوال النحوي المتفق عليه في العربية .

لقد نهج السابقون من النحاة نهجا في الحذف إخاله أفقد هذا الباب من العربية جمالياته ، وفي بعض الأحايين عمدوا إلى تسويغ بعض ما اعترضهم من مشاكل نحوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسويغا أدى إلى ليّ عنق النص أو الجملة ، وبذلك فقد النحو منطقيته ، وانحرف عن وظيفته الرئيسة ، وجُنح به إلى تأويلات وتعليلات من الصعب الأخذ بها .

وسأحاول في هذا المبحث أن أدرس تجليات العربية في نظمها المبدع ، مستأنسا بكتاب الله ، وجميل النظم من الشعر والنثر .

يرى الباحث بضرورة وضع معيار يمكن لنا من خلاله أن نقر بوجود الحذف ،على أن تكون هذه المعايير أدلة على وجود الحذف ، مبتعدة عن التعقيد ، أو الاحتمالية .

ولعل من أهم هذه المعايير :

أ- نظام الجملة العربية

لقد ذكرت آنفا أن الجملة العربية تأتلف في نواتها من مسند ومسند إليه وتنضاف إليها عناصر أُخَر تؤدي وظائف مخصوصة ، وبذلك فإن عدم ذكر أي واحد من ذلك يعني وجود حذف ، وعلى المتبصر أن يبحث عن علة الحذف البلاغية أو النحوية .وأمثلة ذلك في العربية كثير ، فهناك حذف في جزء من الكلمة نحو : لم يكُ ، وهناك حذف في حروف المعاني نحو قوله تعالى :" تالله تفتأ تذكر يوسف "[1] والتقدير : أي لا تفتأ ،

[1]- يوسف ، الآية : ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحذف المبتدأ نحو قوله تعالى " وما أدراك ماهيه ، نارٌ حامية "[١]. والتقدير(هي نار). ومن أمثلة الحذف حذف الفعل. فإن سأل أحدهم :من جاء ؟وأجاب آخر فقال :علي فإن كلمة (علي) في هذا المقام تفيد معنى يحسن السكوت عليه ، بالرغم من الحذف الذي حصل في الجملة ، إذ تم حذف المسند (الفعل) وهو (جاء) ، والحذف أدى معنى الإيجاز،وهو ما تدعو إليه العربية " فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر." [٢] ذلك أن الحضور معلوم عند السائل فتكراره ضرب من إضاعة الوقت . و البلاغة – عندنا – هي الإيجاز .

ويدخل في هذا المعيار ما أطلق عليه ابن هشام بالدليل الصناعي " وهذا يختص بمعرفته النحويون لأنه إنما عرف من جهة الصناعة ، وذلك كقولهم ... (قمت وأصك عينه) إن التقدير : وأنا أصك ، لأن واو الحال لا تدخل على المضارع المثبت الخالي من قد ، وفي (إنها لإبل أم شاء) إن التقدير : أم هي شاء ، لأن أم المنقطعة لا تعطف إلا الجمل . " [٣]

[1]- القارعة ، الآية : ١١ .
[2]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص١٤٦ .
[3]- ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص٧٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يدخل في هذا المعيار تلك التقديرات التي يراها الباحث ليّا لعنق النص ، أو إقحاما لمحذوف لا وجود له ، وما ذلك إلا لتسويغ قاعدة نحوية ، أو حركة إعرابية ، فمثلا ، قوله تعالى : " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير . " [١]

فقد ذهب جمهور أهل البصرة ، إلا الأخفش ، على تقدير محذوف قبل (امرأة) لتسويغ الرفع:" رُفع عند سيبويه بفعل مضمر تقديره(وإن خافت امرأة خافت)" [٢]. وذلك لأن سيبويه يرفض أن يلي حروف الجزاء اسم " واعلم أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال . "[٣] على أن مثل هذا الفصل بين حرف الشرط وفعله حاصل في القرآن الكريم وهو أفصح الكلام ، وقد ورد ذلك في القرآن غير مرة كقوله تعالى: " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره " [٤]، وقوله : " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا " [٥]، وقوله تعالى : " إن امرؤ هلك "[٦]. وقوله تعالى " إن أنتم ضربتم "[٧]. صحيح أن ورود الفعل بعد حرف الشرط أكثر من الاسم ، ولكن

[1]- النساء ، الآية : ١٢٨ .
[2]- مكي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ، ج١ ، ص٢٠٩ .
[3]- سيبويه ، الكتاب ، ج٣ ، ص١١٢ .
[4]- التوبة ، الآية : ٦ .
[5]- الحجرات ، الآية : ٩ .
[6]- النساء ، الآية : ١٧٦ .
[7]- المائدة ، الآية : ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجود غير شاهد قرآني على هذا السياق دليل إجازته وعدم قبحه . ويبدو لي أن تقدير فعل سابق لامرأة هو الحشو فالذي اضطر البصريين إلى تقدير محذوف هو العامل في رفع امرأة ، والذي عليه الباحث أن المسألة لا تعدو مسألة تقديم وتأخير ، وأن هناك عوامل طرأت على الجملة التوليدية مما حولها إلى هذا التركيب مع الحفاظ على نظرية العامل . فإن عددت أصل الجملة (خافت امرأة) فالعامل في رفع الاسم في الآية هو الفعل المتأخر عن الاسم ، والذي كان متقدما عليه قبل أن يدخل عليه عامل التقديم والتأخير وهو عامل من عوامل تغيير الدلالة (عوامل التحويل) . وبهذا يبقى العامل في رفع الاسم (امرأة) هو الفعل نفسه الذي تأخر عن الاسم . وإن عددت أصل الجملة (امرأة خافت) دون عامل التقديم والتأخير ، فإن عامل الرفع هو الابتداء ، ولا مانع يمنع من دخول حرف الشرط على الاسم كما أوضحنا ذلك آنفا .

فالذي يراه الباحث أن العامل ينبغي ألا يقيد حركة المفردات في الجملة ، بل إنه يعمل على تماسكها بالمرونة التي يختزنها العامل في داخله . فالعامل يختزن قوة ذاتية تمكن عناصر التركيب من الحركة تقدما وتأخرا ، ولكن ضمن ما تسمح به العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولابن هشام كلام علمي في هذه المسألة فهو يقول : " ومن الوهم في الأول أن يقول من لا يذهب إلى قول الأخفش والكوفيين في نحو (وإن امرأة خافت) ، (وإن أحد من المشركين) ، و (إذا السماء انشقت) : إن المرفوع مبتدأ وذلك خطأ ، لأنه خلاف قول من اعتمد عليهم ، وإنما قاله سهوا ، وأما إذا قال ذلك الأخفش أو الكوفي فلا يعد ذلك الإعراب خطأ ، لأن هذا مذهب ذهبوا إليه و لم يقولوه سهوا عن قاعدة . نعم الصواب خلاف قولهم في أصل المسألة ، وأجازوا أن يكون المرفوع محمولا على إضمار فعل كما يقول الجمهور ، وأجاز الكوفيون وجها ثالثا ، وهو أن يكون فاعلا بالفعل المذكور على التقديم والتأخير . "[1]

ويرى الباحث أن نستأنس بالجملة وأن نقلبها على أكثر من وجه وننظر إن كان هناك محذوف أم لا ، وأن نحاول الربط بين الكلمات في الجملة ، وأن نجد العلاقات المنطقية القائمة بين المفردات ، وأن لا نلجأ إلى تقدير محذوف إن أمكننا أن نبرر الحركة الإعرابية أو الخانة النحوية للكلمة دون اللجوء إلى تقدير محذوف ، فإن يئسنا لجأنا إلى تقدير محذوف .

[1]- ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص٧٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانظر معي إلى قوله تعالى : " ويهديهم إليه صراطا مستقيما "[١].

وقع الخلاف بين النحاة حول إعراب (صراطا) فذهب البعض إلى تقدير محذوف : " (صراطا) نصب على إضمار فعل تقديره : يعرفهم صراطا ودل يهديهم على المحذوف . ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا ليهديهم تقديره ويهديهم صراطا مستقيما إلى ثوابه وجزائه . "[٢]

فالذي يراه الباحث عدم وجود مسوغ هنا لإضمار فعل مع وجود فعل سابق وهو يهديهم ؛ لأنه يحمل المعنى الذي يحمله الفعل المقدر المحذوف (يعرّفهم) . ويأنس الباحث إلى نصب (صراطا) على أنه مفعول ثان للفعل (يهدي) ، لأن المعنى يحتمل مثل هذا الإعراب بوضوح ودون حاجة إلى تقدير محذوف .

ومن الفطنة في تقدير المحذوف أن ننظر إلى الجملة وأن نحاورها بالمنطق وأن نحسن تقدير المحذوف بما يتناسب مع المعنى لنصل في النهاية إلى الدلالة الكلية ، وأن ننظر في كلام العرب وما جاءت عليه تراكيبهم . فمثلا ، قوله تعالى : " يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم . " [٣]

---

[1]- النساء ، الآية : ١٧٥ .
[2]- مكي بن أبي طالب ، ج١ ، ص٢١٥ .
[3]- النساء ، الآية : ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجمل الخلاف بين النحاة كان في تقدير المحذوف ، إذ تعـــددت الآراء في تقـــديره ، ودافع كل فريق عن رأيه ببراعة فائقة ، ولكن لا بد لنا من اختيار رأي من هذه الآراء ، معتمدين على المعنى القريب والدقيق لتحديد المحذوف الأكثر احتمالا .

قال الفراء : " (خيرا) منصوب باتصاله بالأمر ، لأنه من صفة الأمر ، وقد يـــستدل على ذلك ؛ ألم تر الكناية عن الأمر تصلح قبل الخير ، فتقول للرجل : اتق الله هو خير لك ، أي الاتقاء خير لك ، فإذا سقطت (هو) اتصل بما قبله وهو معرفة فنـــصب ، وليس نصبه على إضمار(يكن) ؛ لأن ذلك يأتي بقياس يبطل هذا ، ألا ترى أنـــك تقول : اتق الله تكن محسنا ، ولا يجوز أن تقول : اتق الله محسنا وأنت تضمر (تكن) ولا يصلح أن تقول : انصرنا أخانا (وأنت تريد تكن أخانا) . " [١]

وقد رُد عليه بأن وصف الإيمان بالمصدر يعمل على تقسيم الإيمان إلى خير وغـــيره ، وإلا لم يكن لمثل هذا التقييد من فائدة [٢] ، وهذا غير مقبول . لأنه يوحي أن هنـــاك إيمانا خيرا ، وإيمانا حسنا وآخر سيئا .

[1]- الفراء ، معاني القرآن ، ج١ ، ص٢٩٥ – ٢٩٦ .
[2]- انظر ، السمين الحلبي ، الدر المصون ، ج٤ ، ص١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الخليل وسيبويه وأهل البصرة فقد ذهبوا إلى القول إنه " منصوب بفعل محـــذوف واجب الإضمار تقديره : وأتوا خيرا لكم ، لأنه لما أمرهم بالإيمان فهو يريد إخراجهم من أمر وإدخالهم فيما هو خير منه . " [١]

ويرى الباحث أن تقدير فعل أمر محذوف بعد الفعل (آمنوا) فيه من البعد ما فيـــه ، لأن السياق لا يحتمل أمرا آخر ، ولا مسوغ له ، والمعنى المسوغ عنـــدهم في تقـــدير محذوف غير منطقي .

وهناك رأي ثالث : وهو ما ذهب إليه الكسائي وأبو عبيدة " أن يكون منصوبا لأنـــه خبر (يكن) مقدرة ، وتقديره ، فآمنوا يكن خيرا لكم ، وإنما جاز تقدير (يكـــن) هنا ولم يجز في قولهم : زرنا أخانا ، على تقدير : تكن أخانا ، لأن من أمرك بالزيارة لا يوجب كون الأخوة ، بخلاف الأمر بالإيمان والانتهاء عن الشر فإنهما يدلان علـــى الخير لمن آمن وانتهى فبان الفرق . " [٢]

وعلى هذا فإن تقدير (يكن) في السياق يمكن أن يتسق والمعنى الكامن في الآية ، لأن سياق الآية ومنذ البداية يحتمل هذا المعنى ، والذي يدل على تقدير (يكن) هنا الفعل (آمنوا) الذي يحمل معنى الجملة الشرطية في هذا السياق ، وكذا عند تقدير (يكن)

[1]- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٦٤ .
[2]- الأنباري ، البيان في غريب إعراب القرآن ، ج١ ، ص٢٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يحتمل معنى أحد أركان الجملة الشرطية . وبهذا فإن المعنى يتسق وينتظم تماما بين الفعل (آمنوا) وبين المحذوف (يكن) . فالعلاقة الجزائية في المعنى بينهما في هـــذا السياق قائمة .

وبالمجمل يظهر لنا كيف يمكن أن نقدر ، بلطفٍ ، المحذوفَ إنْ جعلنا المعنى غايتنـــا ، محاولين الابتعاد عن الآراء التي لا تنظر في حالة السياق ، وما جاءت به العرب ، وأن لا نلجأ إلى تكرار الأفعال من أجل تسويغ المحذوف .

ب – السياق :

ينقسم السياق إلى قسمين :

١– الحالي : ويشمل الموقف الذي وقع فيه الحدث الكلامي ،فمن خلال الموقف يمكن لنا أن نتبين المحذوف ونقدره ، وعادة ما يكون الكلام دالا على هـــذا النـــوع مـــن الحذف، ذلك أن الكلام كما فصلنا سابقا إنما هو مجموعة جمل مفيدة تحمـــل معـــنى يحسن السكوت عليه ، وبذلك نتمكن من معرفة الموقف،وعليه يمكن معرفة المحذوف. كقولك لمن معه أُعْطية : (زيدا) ، بإضمار : أعط . وقد أشار إلى ذلك ابن جني إذ يقول : " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قولهم : سِير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل . وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها . وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك . وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته . " [١]

٢ – المقالي : وهو ما يفهم من الجملة ، ولا يمكن تأويله ، أو الاختلاف فيه نحو قوله تعالى : " وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ، قالوا خيرا "[٢]. فالتقدير : أنزل ربنا خيرا.

وكقوله تعالى :" ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . " [٣]فهذا إجابة عن سؤال تقديره (لم كنتم تستهزئون بالله وآياته ورسوله) ؟ فالسياق المقالي قادر على توضيح المحذوف دون اللجوء إلى تقدير محذوف قد يختلف عليه .

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص٣٧٠ .
[2]- النحل ، الآية : ٣٠ .
[3]- التوبة ، الآية : ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- التنغيم

يمكن للتنغيم أن يرشدنا إلى المحذوف ، وهو بذلك معيار يمكن اللجوء إليه حين الحاجة، وهو معيار يحتاج إلى حس لغوي ، ومعرفة بالسياق ودراسة لأحواله ، وإلى التعرف على المقام ، إضافة إلى معرفة بالتركيب النحوي . وعلى الناظر في الجملة التي يُظَنُّ فيها حَذْفٌ أن ينغم الجملة على أكثر من وجه إذا التبس عليه الأمر حتى يتمكن من معرفة التنغيم المناسب للتركيب ، وبذلك يسهل عليه تقدير الحذف .

أما إذا كانت الجملة منطوقة فالأمر أيسر من ذلك ؛ إذ المقام الحواري و الذي جرى فيه التركيب يبين الحذف دون لبس .

ومثال ذلك قوله تعالى :"وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل " .[1] فبدون تقدير محذوف لا يستقيم المعنى مطلقا ، وبدون تنغيم خاص بها لا يمكن لنا أن نفهم المعنى على وجه الدقة . فالآية فيها حذف ، وهذا الحذف هو همزة الاستفهام ، وحذفت لأن صوت الهمزة صوت انفجاري ، وفيه من القوة ما فيه ، وربنا عز وجل

[1]- الشعراء ، الآية : ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمر موسى وأخاه عليهما السلام بأن يقولا له قولا لينا (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) [1]، وحذف الهمزة مناسبة لهذا المقام وهو قول اللين . والله أعلم .

وعليه فعلى اللساني أن يتحسس مواطن الحذف ، مستأنسا ومحتكما إلى نظام الجملة العربية .

[1]- طه ، الآية :٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- الحركة الإعرابية

للحركة الإعرابية دور كبير في تحديد المحذوف إلى حد كبير . لذلك نجد الكلمات التي لا تظهر عليها الحركات الإعرابية توقع بعض النحاة في حيرة . إضافة إلى بعض الأساليب النحوية والتي لا يمكن لنا أن نفهم معناها إلا من خلال الحركة الإعرابية – سنتعرض لذلك في مبحث مستقل – فمن خلال الحركة الإعرابية يمكن لنا أن نقدر المحذوف بيسر ودون لبس .

والأمثلة على ذلك كثيرة نحو : الصلاةَ (وتقدير المحذوف : الزم الصلاة) . وجمل النداء عندما يحذف فيها حرف النداء ، فالحركة الإعرابية تدلنا على أن المحذوف هو حرف النداء ، كقولك مناديا قارئ القرآن : (قارئَ القرآن) من غير حرف .

أما في حالة عدم ظهور الحركة الإعرابية فقد يحدث اللبس ، ونحتاج ساعتئذ إلى إعمال الذهن والمنطق ، والبحث عن المعنى لمعرفة المحذوف ، نحو قوله تعالى :(ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومَهما إلا ما حملت ظهورُهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم)[1] فقد وقع الخلاف في إعراب (الحوايا) وسبب هذا الخلاف عَدَم ظهور الحركة الإعرابية مما ألجأ بعض النحاة إلى تقدير محذوف .

[1]- الأنعام ، الآية : ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد ذهب الفراء إلى القول : " و (الحوايا) في موضع رفع ، تردها على الظهـــور : إلا ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا ، وهي المباعر وبنات اللبن . والنصب على أن تريد (أو شحوم الحوايا) فتحذف الشحوم وتكتفي بالحوايا ؛ كما قال : (واســـأل القرية) ، يريد : واسأل أهل القرية . " [١]

وبهذا يتبين لنا أهمية الحركة الإعرابية في معرفة وجود الحذف من عدم وجوده .

إن مبحث الحذف طويل ، وحسبي أنني حاولت أن أتلمس بعض المعايير في الحذف ، مع النظر في بلاغة الحذف . فدرس نائب الفاعل قائم على الحذف وعلى دارســـه أن ينظر ما فيه من جماليات قوامها الحذف ، وكذلك الأمثال العربية ، وغير ذلك كثير . وعلى الناظر في الحذف أن يحيط بالجملة والمعنى العام ، وإن أمكن معرفة سياق الكلام ليتمكن من تقدير المحذوف . فهناك حذف يؤدي تقدير المحذوف فيه إلى احتمال دلالي وإعرابي ، كقوله تعالى " فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا "[٢]. فـــيمكن أن نقـــدر (فليضحكوا زمنا قليلا وليبكوا زمنا كثيرا) فيكون الحذف من الظرف . وقد نقـــدر المحذوف (فليضحكوا ضحكا قليلا وليبكوا بكاء كثيرا) فيكون الحذف من المفعول المطلق . وبذلك يتعين على الباحث أن يرجح المحذوف الأصح وفقا لما ذكرناه سابقا

[1]- الفراء ، معاني القرآن ، ج١ ، ص٣٦٣ .
[2]- التوبة ، الآية : ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تدبر للمعنى ودراسة السياق والمقام ومعرفة بصناعة النحو بحثا عن دليـــل علـــى المحذوف الذي نتوخى فيه الصواب والدقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزيادة

الزيادة عنصر من عناصر تحقيق المعنى في دلالة التركيب ، وفي الحديث عن الزيادة لا بد لنا من الحديث عن الجملة النواة ، إضافة لما يسميه البعض بالفضلة أو التتمة ، كالمفعول به و الحال وغير ذلك من زيادات على جملة النواة . وكنت تحفظت على مصطلح – الفضلة – لما يشي من ظلّ الدلالة على زائد مرغوب عنه يمكن اطراحه . فكل زيادة علىجملة النواة إنما هي لمعنى يقصده المتكلم ، أراد به دلالة بعينها في مجمل كلامه .

وكنت قد ارتأيت عد الجملة التي يتقدم فاعلها عليها نحو : (الطالب يذاكر) ، جملة اسمية ، كما ذهب البصريون وغيرهم للأسباب التي ذكرتها آنفا ، نحو دخول النواسخ عليها ، فلو كانت جملة فعلية لما جاز دخول النواسخ . صحيح أن الفاعل قدم للأهمية إلا أن هذه الأهمية نقلته من فاعل في جملة فعلية إلى مبتدأ في جملة اسمية . وهذا نوع من أنواع التحويل طرأ على الجملة . فانتقال مثل هذا النوع من الجمل(المبتدأ خبره جملة فعلية) يعد نوعا من أنواع التحويل الذي يطرأ على الجملة النواة (التوليدية) ، إذ الأصل في ترتيب الجملة التوليدية (النواة) (يذاكر الطالب) ، وبذلك أعد إعادة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الترتيب من عناصر التحويل ، ولكن مع تغير نوع الجملة من الفعلية إلى الاسمية . وأرى أن العامل النفسي قد أهمل في تقديم الفاعل على الفعل ؛ إذ يعد تغيير الترتيب بين الفعل والفاعل ذا وقع على النفس ؛ فعندما نقول : (الطالب) فإن الحالة النفسية تستدعي طلب الخبر ، وهي لا تفكر بنوع الخبر أيكون مفردا أم جملة اسمية أو فعلية أم شبه جملة ، المهم أن المتلقي يطلب الخبر . وبذلك أرى أن هذا النوع من الجمل يعد من الجمل الاسمية ، في حين أننا لو قدمنا المفعول به لاستدعت الحالة النفسية الفعل والفاعل مباشرة .

ومن المباحث المترتبة على دراسة أثر الزيادة على الجملة الحركة الإعرابية ، فالزيادة في المبنى تعني تغيرا في الحركة الإعرابية في كثير من الأحايين . وفي هذا المبحث سنجد أننا بحاجة إلى إعادة ترتيب بعض أبواب النحو ، وذلك حين نعد الزيادة عاملا من عوامل التحويل وله أثر بيّن على المعنى . وفي هذا المبحث سنعيد النظر في شبه الجملة ، ونرى ما تحمله هذه الزيادة من أثر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزيادة والمعنى

يرى الباحث أن الزيادة على جملة النواة ، أو الجملة التوليدية يعد زيـــادة في المعـــنى والزيادة تكون على أشكال متعددة ، إذ يراعي المتكلم كمية الزيادة التي يريـــدها ، وهذه الزيادة في أغلب الأحايين تقيد الجملة في المعنى ، وتعطي الجملـــة تحديـــدا أدق وأخص .

والزيادة على نوعين : زيادة لا تؤثر على الحركة الإعرابية لجملة النواة ، وزيادة تؤثر على الحركة الإعرابية لجملة النواة . وعليه فيمكن أن نقسم الزيادة من حيث موقعها بالنسبة للجملة التوليدية إلى ثلاثة أقسام :

أ – سابقة ب – لاحقة ج – معترضة

وهذه الأقسام تؤدي إلى ثلاثة أنواع من الدلالات : (التوكيد – التقييد - التبيين) أما التوكيد فنحو : إن الله قوي عزيز . أما التقييد فنحو : إن تدرس تنجح ، وأقبـــل الضيف ليلا . أما التبيين فنحو : قدم العامل نشيطا . والذي أراه أن هـــذه الأنـــواع الثلاثة من الزيادة يجب أن نراعي فيها تحليل المعنى وفقا للنوع الذي ندرسه مع النظـــر في الحالة النفسية التي يمكن أن تنطوي عليها الزيادة أثناء تحليلنا لها .فليس من المعقول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يكون تحليل المعنى في حالة التوكيد هو نفسه المعنى في حالة الشرط ، وهو نفسه في حالة التبيين ، وأرىأننا أهملنا الجانب النفسي وأثره في كل من هذه الأنـــواع مـــن الزيادات ، فانظر معي إلى قوله تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فـــورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)[١].

أي وقع هو هذا الذي يقع على المؤمن حين يسمع بهاتين الآيتين ! " عـــن الحـــسن البصري قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا) ." [٢]

إن الزيادة المترتبة على الآيتين السابقتين أعطت معنى قويا ، وكأن هناك تكذيبا للذات الإلهية في ما قرر ، الأمر الذي استدعى من الله هذا التوكيد الذي أحدث أثرا مزلزلا على الرسول الكريم وعلى المؤمنين ، ذلك أن الرزق يشغل حيزا كبيرا من تفكير البشر وهمهم ، فجاءت هذه الزيادة في المبنى لتعطي قوة لمعنى ضمان الرزق عندهم .

من هنا ، يرى الباحث ضرورة دراسة شخصية المتكلم والمتلقى لتحديد طبيعة الزيادة التي حدثت على جملة النواة ، والمعنى الذي يمكن أن تحدثه هذه الزيادة . وســـنعرض لهذا بالتفصيل في الجزء الأخير من الرسالة .

---

[1]- الذاريات ، الآية : ٢٣ .
[2]- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزيادة والحركة الإعرابية

تؤثر الزيادة على الحركة الإعرابية ، ذلك أن أي زيادة على الجملة التوليدية تعني أن تغيرا قد يحدث على الحركة الإعرابية ، وذلك لطبيعة اللغة العربية التي تؤدي فيها الحركة الإعرابية دورا مهما في المعنى . وسنتعرض لذلك في مبحث مستقل من هذه الرسالة .

والأثر التي تحدثه الزيادة على الحركة الإعرابية كبير فمثلا (كان الطالب كسولا) حصلت الزيادة بإضافة (كان) على الجملة التي أصلها (الطالب كسول) فأخذت الكلمة (كسول) حركة مخالفة عما كانت عليه قبل دخول (كان) عليها .

وعند خليل عمايرة أنها حركة اقتضاء لكان .[1]

وأرى هنا أن الحركة الإعرابية بعد تغيرها ليست حركة اقتضاء ، ولكن هي مظهر من مظاهر عنصر التحويل بالزيادة الذي طرأ على الجملة التوليدية لينقلها إلى الجملة التحويلية ، فالمخالَفة في الحركة الإعرابية ، وهي مخالفة صوتية ، تعطي جرسا موسيقيا مخالفا عما كانت عليه قبل دخول عنصر الزيادة على الجملة ، مما يعطي السامع لها تنبيها آخر يعلمه بأن تغييرا ما حدث في الجملة . وبذلك تصبح هذه الحركة أصلية في

[1]- خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنيتها التركيبية الجديدة ، وعلي أن أتعامل معها كعنصر من عناصر الجملة الجديدة . مع العلم بأن هناك زيادة لا تحدث تغيرا في الحركة الإعرابية نحو قوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة)[1]، ونحو (إنما الحقُ أبلج) فلم تتغير هنا الحركة الإعرابية ، وذلك مما جاءت به العربية ، ولعل وجود (ما) أعطى بعدا إضافيا لمعنى التوكيد ، استُغنيَ به عن تغيير الحركة الإعرابية . وكذلك نحو قولنا (إذا المدير حضر بدأت الحفلة) ، فالتغيير بالزيادة هنا لم يتطلب تغييرا في الحركة الإعرابية . لذلك فإن منهجي أن أتعامل مع الجملة كما هي وأن أصفها كما هي دون اللجوء إلى تأويلات أو تقديرات ،فإن لجأت إلى التقدير فلا بد من قرينة دالة عليه ، على ألا تكون هذه القرينة بحاجة إلى تأويل .

وكذلك الحال في الجملة الشرطية ،إذ تتغير الحركة الإعرابية أحيانا في جملتي الأسلوب، نحو : (إن تخرجْ أخرجْ) ، ولكن ما نختلف فيه مع النحاة الأوائل عدم قبول الباحث لعبارة (مجزوم محلا مبني لفظا) في مثل (إن درسْتَ درستُ) ، ولكن علينا أن نتعامل مع حقيقة البنية التركيبية الجديدة بدون تأويل ، وأن لا نلجأ إلى التقدير إلا عند الحاجة الملحة مع وجود قرينة على الذي أؤوّله .

[1]- الحجرات ، الآية : ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– الزيادة وشبه الجملة

وأقصد هنا بالزيادة وشبه الجملة أن لا يقع شبه الجملة خبرا ،نحو (الحديقة جميلة صباحا) ونحو (الطالب مجتهد في المدرسة) ، فَشِبْها الجملة في الجملتين السابقتين يحملان معنى مقصودا جاء به المتكلم لغرض دلالي ،وهو الزيادة للتقييد في كلتيهما ، ولا يمكن اعتبارهما في هذا السياق فضلة .

أما ما يسميه النحاة بحرف الجر الزائد في نحو قوله تعالى : (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) [١]، فهو عندهم هنا زائد ، دخوله كخروجه ، ونحو قوله تعالى : (ألست بربكم) [٢]، وقوله (لست عليهم بمسيطر) [٣]. غير أن ابن جني يقول : " ولولا أن في الحرف إذا زيد ضربا من التوكيد لما جازت زيادته .... فقد علمنا من هذا أننا متى رأيناهم قد زادوا الحرف فقد أرادوا غاية التوكيد . " [٤] والعجيب أنه في موضع آخر من كتابه يقول معلقا على حرف الجر الباء " ومعنى قولي (زيدت) أنها إنما جيء بها توكيدا للكلام و لم تحدث معنى . " [٥] فابن جني يقر أنها تفيد التوكيد ، إلا أنه رجع إلى القول بأنها لا تحدث معنى جديدا مغايرا لمعنى الجملة التي دخلت عليها ؛وذلك

[1]- الأنعام ، الآية : ٥٩ .
[2]- الأعراف ، الآية : ١٧٢ .
[3]- الغاشية ، الآية : ٢٢ .
[4]- ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص٢٧٠ .
[5]- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليتمكن من القول إن الاسم الذي يقع بعدها فاعل أو مفعول به ... وهذا لا يناقض المعنى ، ولكن على أن لا نعد حرف الجر زائدا بدون معنى . وأقول هنا إن حرف الجر أفاد التوكيد وهو عنصر من عناصر التحويل في التركيب أما إعرابه في مثل قوله تعالى (وما تسقط من ورقة) فيكون على النحو الآتي : (من) حرف جر يفيد التوكيد . و (ورقة) فاعل مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال محلها بالحركة المناسبة لـ (من) التي أفادت التوكيد.

وبهذا فإن لشبه الجملة دورا تؤديه في المعنى ، ولا يمكن القبول برأي من قال بأن شبه الجملة زائدة لا تؤثر في المعنى أو أنها تكون فضلة .

ومن الزيادة عندهم المضاف إليه ، إذ يعد المضاف إليه موضحا للمعنى مبينا للكلمة السابقة له ، وعليه فيجب الاعتناء بالمضاف إليه والنظر في ما يحققه من معنى في الجملة. كمعنى التشريف والتكريم الذي أوحى به إضافة (الناقة) إلى لفظ الجلالة في قوله تعالى : (هذه ناقة الله لكم آية) ، فكان الأجدر بهم رعاية حرمتها ، وصوْنها عن الأذى ، كيف لا ؟ ومحل الرعاية هو (ناقة الله) بما يضفيه لفظ الجلالة (المضاف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه) من قدسية وهيبة للناقة . فلمّا لم يفعلوا كان عقاب الله لهم مزلزلا ، متناسبا مع اعتدائهم على ناقةٍ متميزة أضافها الله إلى اسمه الكريم ، ونسبها إليه .

وكان يوسف – عليه السلام – مستحضرا المعنى الذي يحمله المضاف إليه (السجن) في قوله تعالى (ياصاحبي السجن) [1].الذي كرره مرتين في مخاطبته للرجلين ، إذ لو قال : (أيها الصاحبان) لما أثار في نفسيهما شعور المشاركة الوجدانية بينهم ، وتوحد المشاعر ، وإحساس بعضهم ببعض إحساسا يجعلهم أقرب إلى التّلَقي لما يقول ، مستغلا الأثر النفسي الذي يحدثه المضاف إليه (السجن) في نفوس المشاركين فيه . ومعلوم أن المصائب يجْمَعْنَ المصابين .

[1]- يوسف ، الآيتان : ٣٩ ، ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفـــصـــل الرابـــع

الحـــركـــة الإعـــرابـــيـــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة الإعرابية

" إن العرب قد نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت في عقولها علله . " [١]

فالعرب نطقت على سجيتها ، مستخدمة الإعراب ، أعني الحركات الإعرابية ، في نطقها ، ولم يكن العرب يتكلمون بتسكين أواخر الكلم بل كانوا يحركون أواخره، ذلك أن العربية لا يمكن أن تكون إلا كذلك ؛ لأنك لا يمكن أن تفهم كثيرا من كلامهم إلا من خلال الحركات التي تظهر على أواخر الكلمات . وليس من المعقول أن يعربوا في بعض الكلمات ولا يعربوا في البعض الآخر إن كانت أواخرها قابلة لحمل الحركة . إنما كان الإعراب سجية من سجاياهم التخاطبية . فقد ورد عن عمر بن الخطاب قوله : " لأن أقرأ فأخطئ ، أحبُّ إلي من أن أقرأ فألحن ؛ لأني إذا أخطأت رجعت وإذا لحنت افتريت . "[٢] فكان اللحن من العيوب الكبيرة التي تقدح في العربي. ومن الصعب فهم كثير من الجمل والكلام بدون الإعراب ؛ ولذا ربط كثير من النحاة بين المعنى والإعراب ، ورأو أن الإعراب فرع المعنى ، فالإعراب هو " الإبانة عن المعاني بالألفاظ ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت : أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه علمت

[1]- الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، ص٦٦ .
[2]- المصدر نفسه ، ص٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان شرجا واحـــدا لاســـتبهم أحدهما من صاحبه . " [١]

ولكن النحاة انصرفوا عن وصف الظاهرة اللغوية إلى تعليل هذه الحركات والأسباب المسببة لها وهذا بدوره أدى إلى انصرافهم عن المعنى ، وأولعوا بالعامل وتسويغ الحركة الإعرابية دون النظر في المعنى التي تؤديه هذه الحركة ، وعليه فإننا نجـــد عنـــدهم – وبكثرة – تقدير المحذوف وذلك لتسويغ مثل هذه الحركات . وهـــذا مطّـــرد عنـــد أكثرهم ، غير أن بعضهم كالجرجاني نظر إلى الحركات الإعرابية من خلال المعنى الذي تؤديه مثل هذه الحركات : " إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيهـــا حـــتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرِج لها . " [٢] أما ابن يعيش فيقول : " والإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها . " [٣]

فالحركة الإعرابية ظاهرة موجودة في العربية لا يمكن لأحد أن ينكرها ، وهذه الظاهرة تؤدي معنى بذاتها وليس للعامل دور في المعنى الذي تؤديه ، ويجب النظـــر إلى أهميـــة

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، ص٣٥ .
[2]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٢٨ .
[3]- ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج١ ، ص٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة الإعرابية من خلال المعنى ، وأن نبتعد عن تسويغ هذه الحركة بسبب العامـــل فنلجأ إلى التعليل والتأويل والتقدير من أجل النظر في سبب هذه الحركة ، دون النظر في معناها ، فالأصل أن أنظر في بادئ الأمر إلى المعنى ، وبعد ذلك يمكن أن أنظـــر في سبب وجود هذ الحركة مع عدم اللجوء إلى ليّ عنق النص وتقدير ما لا يمكن قبوله .

أما قطرب فقد ذهب إلى عدم وجود علاقة بين الإعراب والمعنى ولكنه لم ينف وجود الإعراب : " لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني . " [١]

وهذا يعني إقراره بالإعراب . وقد حاول إنكار هذه العلاقة من خلال أمثلة استشهد بها إلا أن أمثلته تحمل قرائن أخرى غير قرينة الإعراب ، و مقتضى هذا أن الإعـــراب قرينة واحدة من قرائن أخرى يمكن أن الاستدلال بها على المعنى ، ولا يمكن أن يُعَـــدّ الإعراب القرينة الوحيدة التي تمكن من معرفة المعنى ، وهذا خلط وقع فيه البعض : " إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى ، فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم (تضافر القرائن) ، وهذا القول صادق على كل قرينة أخـــرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية . "[٢]

[1]- الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، ص٧٠ .
[2]- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٢٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تأثر إبراهيم أنيس برأي قطرب[١] ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك إذ يرى أن الحركات الإعرابية من صنع النحاة أنفسهم وهذا أمر لا يستقيم على إطلاقه وهو مغاير للنواميس اللغوية المتعارفة ، فما الذي يدعو إلى إيجاد غير الموجود وخلق ظاهرة مصطنعة ؟ .

وعليه فإن الحركات الإعرابية موجودة في العربية " فونيمات أصيلة فيها ، ينطق بها العربي ليفيد معنى معينا ، ثم يغيرها ليفيد الفونيم الجديد معنى جديدا . " [٢]

فجملة مثل : الأسدَ تفيد معنى غير ما تفيده جملة : الأسدُ (إن جاءت جوابا لسؤال) . والفرق في المعنى أن في الأولى تحذيرا من الأسد ، بينما تجيب الثانية عن سؤال مثل : من أبو الشبل ؟ والقرينة الدالة على هذا الفرق هي الحركة الإعرابية التي انصرف النحاة القدماء إلى تسويغها بدلا من النظر في المعنى الذي يمكن أن تؤديه ، فقدروا محذوفا : احذر الأسدَ ؛ لتسويغ حركة النصب . والجملة على هذا النسق : (احذر الأسدَ) لا تؤدي المعنى نفسه الذي تحمله : (الأسدَ) . ونحو ذلك : (نحن المعلمين ندرّس بإخلاص) و (نحن المعلمون ندرّس بإخلاص) ، فالتقدير في الجملة

[1]- انظر : إبراهيم أنيس ، من أسرار العربية ، ص١٩٨ .
[2]- خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأولى على رأي النحاة هو : (نحن أخص المعلمين ندرّس بإخلاص) ، والمعنىأضعف مع هذا التقدير للمحذوف ، بل يستقيم المعنى ويقوى مع قولنا : نحن المعلمين ندرّس بإخلاص .

وسبب لجوء النحاة إلى هذا التقدير هو تعليل النصب في (المعلمين) ، ولكنهم لم ينظروا في أثر تغير العلامة من الرفع إلى النصب . ولو نظروا إلى هذا التغير مع المعنى الذي حصل لكان الأمر مختلفا ، ولكان يكفيهم أن يقولوا في إعرابها : منصوبة على الاختصاص ، من غير تقدير فعل . وفي الجملة الثانية إخبار واضح لا تحمله الجملة الأولى ، قرينته الرفع بالواو .

ومن أمثلة اختلاف المعنى باختلاف أواخر الكلم (صهْ) و (صهٍ) ، فالأولى تفيد طلب السكوت عن حديث كان المتكلم يشرع فيه ، وله أن يختار حديثا آخر . أما ذات التنوين فتفيد طلب السكوت بالمطلق .

ومثلهما (سيبويهِ) و (سيبويهٍ) ، فالأولى تفيد شخصا بعينه ، والثانية عامة في كل من اسمه سيبويه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سورة هود لطيفة تشهد لتغير المعنى بتغير الحركة . قال تعالى : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا سلاما ، قال سلامٌ) .[1] فحيوه بجملة فعلية تدل على الحدوث والتغير (نسلم سلاما) ، في حين رد عليهم باسمية تحمل معنى الثبات والاستقرار (سلام عليكم) . فانظر كيف رد إبراهيم عليه السلام التحية بأحسن منها . وما دل على نوع الجملة إلا الحركة الإعرابية فحَسْب .

والأمثلة على ذلك كثيرة في أبواب النحو العربي نحو :

- إياك الكذبَ. - الصلاةَ .
- نحن العربَ نكرم الضيف . - كم بلدٍ زرت ، و كم بلدا زرت ؟
- لا تأكل سمكا وتشربْ لبنا . - سار محمد والبحرَ .

وغير ذلك من جمل تندرج كلها تحت أثر الحركة الإعرابية في المعنى ، وهو ما يجب البحث فيه والانتباه إليه ، وليس البحث عن تسويغ لهذه الحركة الإعرابية متأثرين بالعامل فقط .

[1]- هود ، الآية : ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخلص من هذا إلى بيان أهمية الحركة الإعرابية في المعنى ، وأن لها دورا مهما في تغييره وأنها تعمل على ذلك في ذاتها وليس بتأثير العامل عليها ، فليس للعامل دور هنا في تغيير المعنى بل الدور للحركة الإعرابية ليس إلا .

وعلى الدارس أن ينظر إلى الحركة الإعرابية والمعنى الذي يمكن أن تؤديه في الجملة مبتعدا عن التأويل والتبرير والتقديرات التي تؤدي في مجملها إلى فقدان اللغة العربية لبعض من جمالياتها والمتمثلة هنا بالحركة الإعرابية .

وللحركة الإعرابية دور إيقاعي ، وهذا الإيقاع يعمل على إحداث جرس موسيقي مؤثر ، فهو هنا مظهر جمالي يعنى بالإيقاع الموسيقي ولكن ليس له دور مستقل في المعنى . مع أنني أرى أن مثل هذه الإيقاعات المترتبة عن الحركات الإعرابية تحدث تأثيرا كبيرا في المتلقي لا يمكن إنكاره ، ومن الصعب تفسيره علميا ذلك أن جزءا كبيرا من ذلك التأثير انطباعي نفسي . والحركات الإعرابية بذلك تشكل جزءا مهما في عملية إيصال المعنى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفـــصـــل الـــخامس

دور البنية الصرفية في بيان الدلالة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبنى الصرفي

يدرس علم التصريف بنية الكلمة ، فبنية الكلمة هي موضوع هذا الدرس . وقد عرف القدماء هذا العلم تعريفات عدة ، والناظر في تعريفاتهم لهذا المصطلح يتبين له أن منهم من يعده علما،فهو " علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب."[١]

ومنهم من يعده عملا يؤديه المتكلم " اعلم أن التصريف هو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والنقصان والقلب للحروف ، وإبدال بعضها من بعض . " [٢] ويعرفه ابن هشام بقوله هو: " تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي. "[٣]

وعليه يكون علم الصرف مختصا بأحوال الكلمة من حيث :

أولا : الصيغ الدّوالّ على معان كالماضي والمضارع والأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة .....الخ

ثانيا : مقتضيات النطق بها نحو التقاء الساكنين ، والوقف والابتداء .

و النوع الأول هو الذي يعنينا هنا ، ذلك أنه يبين عن أثر التقليبات الصرفية على المعنى وأهميتها في فهم الفروق الدلالية بين الصيغ المختلفة .

---

[1]- ابن الحاجب ، متن الشافية ، ج١ ص٩ .
[2]- الصيمري ، التبصرة والتذكرة ، ج٢ ، ص٧٧٨ .
[3]- ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج٣ ، ص٣٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسأجتهد في هذا الفصل في التمثيل على أهمية الدرس الصرفي في المعنى من خلال أمثلة متعددة ،رأيتها شاهدة على صحة ما ذهبت إليه . وسأعتمد على القرآن الكـــريم في أغلب أمثلتي ؛ وذلك لأنه المثل الأعلى في النظم العربي ، وإن كان هذا التعالق بـــين البنية الصرفية والمعنى يصدق على القرآن وغيره ، وقد نزل القرآن على وفـــق سَـــنَن العرب في كلامها .

– مثل من (الاسم والفعل)

برع العربي في التفريق بين استخدام دلالة الفعل ودلالة الاسم ، فـــالعربي بـــسليقته اللغوية وفطرته اللغوية التي فُطر عليها كان يضع الاسم موضعه الـــصحيح وكـــذلك الفعل . وكان يعرف أن دلالة الاسم هي دلالة الثبوت والاستقرار ، أما دلالة الفعـــل فتفيد التغير والتجدد والحدوث .

إن " موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء . وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدُّدَ المعنى المثبت به شيئا بعد شيء ." [١]

[1]- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص١٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرآن الكريم حافل بهذا التفريق ، وتحمل الآية القرآنية دلالات مختلفة عند العدول عن الفعل إلى الاسم أو العكس . ومثال ذلك قوله تعالى : " كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . " [١]

فالآية عدلت عن الفعل إلى الاسم ، إذ يتوقع السامع بعد (تنذر) فعلا معطوفا عليه هو (تذكّر) ، ولم يجئ ذلك لمعنى أراده الله عز وجل ، هذا المعنى المتغاير جاء بسبب تغير البناء الصرفي للكلمة . فانظر معي إلى قوله تعالى :" كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين " فإنذار الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه محدود بزمن معين ، وهي من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن القرآن الكريم المحفوظ بحفظ الله عز وجل باق حتى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالقرآن هو الكتاب الخالد ؛ لذلك عدلت الآية عن الفعل (تنذر) إلى الاسم أو المصدر (ذكرى) والذي يفيد الاستمرارية والثبات ، بخلاف الفعل الذي يدل على الحدوث والتغير . ووردت صيغة (ذكرى) في غير موطن من كتاب الله للدلالة على معنى الثبات . ومنه قوله تعالى : " فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم

[1]- الأعراف ، الآية : ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظالمين "[١] . وقوله : " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين . " [٢]

وفي قوله تعالى : " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " [٣] . تحمل هذه الآية معنى رائعا وطمأنينة للمسلم ، واتصالا بربه مباشرة دون وساطة أحد حتى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . فلم يعذبهم ربهم لأن نبيه وحبيبه محمدا عليه السلام مقيم بين ظهرانيهم ، ولكن مكوثه صلى الله عليه وسلم محدود بزمن ، فهو مكوث متغير ولكن المسلم علاقته مع ربه قائمة دون واسطة أحد حتى نبيه الكريم ؛ لذا عدلت الآية عن الفعل (يعذبهم) إلى الاسم الدال على الثبوت والاستقرار ، فقال جل ذكره (معذبهم) ، وربطه بالاستغفار الذي يستمر مع الإنسان حتى بعدم وجوده صلى الله عليه وسلم.

وقد تأتي الآية معقبة اسما على اسم لدلالة الثبات والاستقرار نحو قوله تعالى :

" وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب " [٤]. فجاءت الآية الكريمة بالاسمين معا لدلالة الثبات والاستقرار (هدى) و (ذكرى) .

---

[1]- الأنعام ، الآية : ٦٨ .
[2]- هود ، الآية : ١٢٠ .
[3]- الأنفال ، الآية ٣٣ .
[4]- غافر ، الآية : ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحو قوله تعالى: " وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها"[١] فانظر معي إلى دلالة الحتمية في الفناء والموت والهلاك في المبنى الصرفي لكل من (مهلكوها) و (معذبوها) . صيغتان صرفيتان دالتان على حتمية الفناء والهلاك سواء كان ذلك بالموت والعذاب ؛ لذلك فقه العربي القح هذا المعنى في كتاب الله فعلم علم اليقين مصيره الحتمي الذي سوف يؤول إليه .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فقوله تعالى : " أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير " [٢]. دليل آخر على معنى الثبات أو الحدوث . فالأصل في الطيران صف الأجنحة ؛ لذلك جاء قوله تعالى

(صافات) بالاسم الدال على الثبات والأصل ، أما القبض فهو حالة عارضة ؛ لذلك جاء البناء الصرفي مناسبا لمعنى التغير والحدوث الكامن في بنية الفعل (ويقبضن) .

- مثل من (اسم الفاعل)

اسم الفاعل هو : " ما دل على الحدث والحدوث وفاعله . " [٣]

---

[1]- الإسراء ، الآية : ٥٨ .
[2]- الملك ، الآية : ١٩ .
[3]- ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاسم الفاعل يدل على ذات الفاعل . وقد يتوهم البعض وجود خلط بين اسم الفاعل الذي يدل على الحدث أو الحدوث ، وبين ما ذهبنا إليه من القول بأن الاسم يدل على الثبوت ، فاسم الفاعل ، وإن أشبه الفعل ، يجري مجرى الاسم ، " والحقيقة هي أن لا تناقض بين القولين ، وإنما يقع اسم الفاعل وسطا بين الفعل والصفة المشبهة ، فالفعل يدل على التجدد والحدوث : فإن كان ماضيا دل على أن حدثه تم في الماضي ، وإن كان حالا أو مستقبلا دل على ذلك ، أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعـــل ، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة . فإن كلمة (قائم) أدوم وأثبت من (قام) أو (يقوم) ، ولكن ليس ثبوتها مثل ثبوت (طويل) أو (دميم) أو (قصير) ، فإنه لا يمكن الانفكاك عن الطول أو الدمامة أو القصر . " [١]

وهذا التفريق ليس جديدا ، إذ تنبه عليه القدماء : " والفرق بين فاعل وغيره مـــن تلك الصفات أن الأصل في فاعل قصد الحدوث وقصد الثبوت طارئ فلا يعتبر إلا مع ما يدل على خروجه عن الأصل . " [٢] ومن أمثلة استخدام اسم الفاعل قوله تعالى في سورة الأنعام : " فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا" . لقـــد توقفت عند هذه الآية في بنائها التركيبي والصرفي .

[1]- فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ، ص٤٧ .
[2]- الصبان ، حاشية الصبان ، ج٢ ، ص٣١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــ (فالق) ، اسم فاعل تدل على الاستمرارية ، ولكن هذه الاستمرارية تـــصاحبها حركة ، وهي حركة الانتقال من الليل إلى الصباح فناسبها تلك الصيغة الـــصرفية (فالق) ، أماكلمة (جعل) فإنها جاءت على صيغة الفعل الماضي الدال على الحدوث والتغير . فإن قلت : ولَمَ لَمْ تأت على صيغة (جاعل) ؟ قلت : إن هذه الصيغة تدل على شيء من حركة ، إذ لا تُعدم الحركة ليلا ، ولكنها ليست كحركة النهار وبذلك فصيغة (فاعل) لا تناسب حالة الليل في هذه الآية وهي كونه (سكنا) ، فكـــان لا بد من العدول عن اسم الفاعل إلى الفعل الماضي الدال على الحـــدوث والاســـتقرار كسكون الليل واستقرار الأشياء فيه . وبذلك تناسبت المباني الصرفية مع التركيب من أجل المعنى المراد من الآية .

أما في قوله تعالى : " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . " [١]. الحال هنا دالة على الاستقبال وورود اسم الفاعل (جاعل) منوّنا يفيد ذلك ، كقوله تعالى : (إني فاعلٌ ذلك غدا) [٢]. ولما كان الملائكة في معرض بيـــان أفضليتهم على البشر ، جاءت صيغ المضارع على ألسنتهم لتدل على عدم انفكـــاك

[1] - البقرة ، الآية : ٣٠ .
[2]- الكهف ، الآية : ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البشر من الشرّ (يفسد – يسفك) ، وعلى دأبهم في المقابل على تسبيح الله وتقديسه (نسبّح – نقدس) .

وفي قوله تعالى : (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون .)[1]

جاءت الآية باسم الفاعل منونا ليدل على الاستقبال ، و لم يستخدم المولى عز وجل الفعل المضارع (سأخلق) رغم أن الدلالة في الحالتين للاستقبال . إلا أن اسم الفاعل يدل على استقبال سينقطع بخلق آدم وحده في السماوات ، وهو المطلوب السجود له، أما الفعل المضارع (سأخلق) فيدل على استقبال غير منقطع ، أي تجدد الخلق مرة بعد مرة لبشر في السماء . وليس هذا مراد الآية .

ولاسم الفاعل دلالات متعددة ، فقد يدل على الماضي ، والحال والاستقبال والثبوت والاستمرارية ، وهذا يتبين لنا من خلال النظم .

وأكتفي بما ضربته من أمثلة على استخدام اسم الفاعل وتأثيره في المعنى في باب دلالة الصرف .

[1]- سورة ص ، الآيات من : ٧١ – ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مثلٌ من (اسم المفعول)

اسم المفعول هو " ما دل على حدث ومفعوله ، (كمضروب) و (مُكرَم) ويعمل عمل فعل المفعول . " [١] يتضح لنا أن اسم المفعول يدل على ذات المفعول . ومن أمثلة المفعول قوله تعالى : (إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع لـــه الناس وذلك يوم مشهود) [٢].

المتأمل في الآية الكريمة يجد التركيب قد جاء على النسق الآتي :

المبتدأ + الخبـــر + اسم المفعول (صفة) ...

(ذلك) + (يوم) + (مجموع) (صفة) ...

فالآية عدلت عن الفعل (يُجمَع) إلى اسم المفعول ؛ لأن الخبر ، وهو عادة ما يكون أقل ثباتا من المبتدأ ، جاء نكرة أضيف إليه تنوين التمكين الذي يحمله معنى الثبـــات والتأكيد على حتمية الجمع في هذا اليوم ، أكثر من الفعل الذي يدل على التحـــول والتغير والتبدل . والله أعلم .

ويرى الباحث هنا ضرورة النظرة التوافقية بين النظم والبنية إن أمكن ، فمثـــل هـــذه النظرة تعمل على انكشاف المعنى ، وتحقيق المعنى الأبلغ أو المراد " ومن وجوه الجدل

[1]- ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج٢ ، ص٢٥٩ .
[2]- هود ، الآية : ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين النظم والبنية أن وظيفة الكلمة في النظم تتعين ببنيتها ، وإذن ينكشف المعنى النحوي بالمبنى الصرفي ." [١] فمثل هذه العلاقة تعمل على تعيين البنى الصرفية لخدمة المعنى النحوي ، ويكون ذلك بمعرفة دلالة المباني الصرفية إما سليقة وإما تعلما ، وبهذا يتضح لنا أهمية إعادة النظر في تعليم الدرس الصرفي في مدارسنا وجامعاتنا ، بحيث نبعده عن هذا الجمود الذي طالما اصطبغ به ، ولا نكتفي بدراسة أحواله وصياغته دون النظر في معناه .

ومن صيغ اسم المفعول صيغة (فعيل) بمعنى (مفعول) ، إلا أن مثل هذه الصياغة لا نذكرها هنا لمجرد الذكر أو تعداد أنواع صيغ المفعول مبتعدين عن معنى هذه الصيغة وأثرها على الدلالة الكلية في الجملة أو الكلام . فالخلاف بين هاتين الصيغتين يكمن في ثلاثة أمور :

١- يعد وزن (فعيل) من ناحية صفة الثبوت ، أبلغ وأثبت من وزن (مفعول) ، وذلك نحو : كحيل ومكحول ، فكحيل أبلغ وأشد صفة من مكحول .

٢- لا يطلق وزن (فعيل) على الشيء إلا إذا اتسم به أو حصل له ، فلا نقول :

[1]- نهاد الموسى ، العربية : نحو توصيف جديد ، ص١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(قتيل) إلا إذا قتل ، ولكن قد نقول : (مقتول) لمن لم يقتل بعد . وهذا فرق في المعنى بيّنه المبنى الصرفي .

٣- الوصف بوزن (فعيل) أقوى من الوصف بوزن (مفعول)نحو:حميد ومحمود[١]

إن المتأمل في ما ذكرناه سابقا يتضح له أهمية المبنى الصرفي في التفريق بين المعاني ، فلكل بناء صرفي معناه الذي يؤديه ، بالرغم من المفارقة الدقيقة بين الأوزان الصرفية .

- مثلٌ من (الصفة المشبهة)

الصفة الشبهة هي " الصفة التي استحسن فيها أن تضاف لما هو فاعل في المعنى ، كـ (حسَن الوجه) و (نَقِيِّ الثّغْرِ) و (طاهِرِ العِرْضِ) . "[٢] وتتميز الصفة المشبهة بأنها تدل على الاستقرار والثبوت " وهي تدل على معنى ثابت ." [٣]

ولكن هل صفة الثبوت لازمة للصفة المشبهة ؟ يرى الباحث أن الصفة المشبهة لا تتصف دوما بالثبوت ، فهناك صفات مشبهة تتصف بالثبوت ، نحو (أبيض) . وهناك صفات لا تدل على الثبات والاستمرار نحو (عطشان) . وبذلك فحكم

[1]- انظر : فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية .
[2]- ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج٢ ، ص٢٦٨ .
[3]- الزمخشري ، المفصل ، ص٢٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثبوت والاستمرار يحكمه معنى الصفة المشبهة . وبهذا نحن ننظر للصفة المشبهة كل على حدة " والذي أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدوث في زمان ليست أيضا موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة ولا دليل فيهما عليه . " [١]

ومن أمثلة الصفة المشبهة :

١- ما جاء على وزن فَعِل نحو : فرح وضجر

٢- ما جاء على وزن أفعل نحو : أحدب

٣- ما جاء على وزن فعلان نحو : عطشان

٤- ما جاء على وزن فعيل نحو : شريف

٥- ما جاء على وزن فُعَال : شجاع

وغير ذلك من أوزان لسنا هنا بصدد إحصائها ، ولكن عند النظر في دلالة كل منها على المعنى ، على الباحث أن ينظر بطبيعة الصفة المشبهة : أهي من الصفات الدالة على الثبات أم من الصفات التي لا تدل على الثبات ؟ وأن يرى أثر هذا على الجملة أو النظم .

[1]- ابن الحاجب ، الكافية في النحو ، ج٢ ، ص٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مثلٌ من بعض (صيغ المبالغة)

تعددت أبنية صيغ المبالغة ، و لم يكن هذا التعدد ضربا من الزيادة فقط ، بل جاء ليخدم المعنى ، فلكل صيغة معنى تؤديه يختلف عن غيره من الصيغ ، لذلك كان على الناظم أن يتعرف على أنواع هذه الصيغ ليتمكن من استخدام ما هو أنسب لمراده . ومن هذه الصيغ ما جاء على وزن :

- فعّال :

فهذه الصيغة تدل على علاقة بين الحدث و (الفاعل) تتجاوز العلاقة المستفادة باسم الفاعل ، إذ هي تومئ إلى تكرار وقوع الحدث وكثرته . ولعلها – لهذا الملحظ – قد نقلت للدلالة على أصحاب الحرف ، كما في مثل صبّاغ ، ونجّار ، وحدّاد .

- مِفعَال :

ومفعال " يكون لمن دام منه الشيء أو جرى على عادته تقول : (رجل مضحاكٌ) و (مهذارٌ) و (مطلاقٌ) إذا كان مديما للضحك والهذر والطلاق ." [1] وبينهما فرق ينبئ عنه نقل فعّال إلى ذي الحرف واستعمال مفعال في الدلالة على الآلة . ومعاودة

[1]- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص٣٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحدث في كل منهما مشتركة ، ولكن اختلاف الجهة (بين ذي الحرفة وبين الآلـــة) ينبئ عنه اختلاف البنية . وإذن ينمّ اختلاف المبنى عن ملحظ لطيف في افتراق المعنى .

– مِفعَل :

الأصل في هذه الصيغة أنها تستخدم للآلة نحو : (مِبضع) ، ولكن العـــربي بلطـــف صنعته اللغوية جعل هذا الوزن لصيغة المبالغة ، وكأن صاحب هذا الوزن أصبح كالآلة في عمله لمداومته عليه ، كمكثر الكر إذا قيل له : مِكَرٌّ .

وأمثل على تحقيق المبالغة للدلالة بالنظر في آيتين كريمتين ورد في إحداهما صيغة اســـم الفاعل (غافر) ، وفي الأخرى مبالغتها (غفّار) .

قال تعالى : (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) [١]، وقال : (وإني لغفار لمـــن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) [٢]. وعند التحليل نجد أن لا داعـــي لاســـتخدام المبالغة في آية (غافر) ؛ لأن تأكيد معنى المغفرة ورد في الجملة التالية (قابل التوب) ، ثم إن كثرة المغفرة لا تتناسب مع (شديد العقاب) في الآية نفسها، ولذا لم تجـــئ المبالغة . وأما في آية طه ، فالحديث كله عن عظم المغفرة واستمرارها وتكرارهـــا ، وخاصة أن الآية جاءت في سياق قصة بني إسرائيل ، وهم مشهورون بتكرار الذنوب

[1]- غافر ، الآية : ٣ .
[2]- طه ، الآية : ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعصيان الأوامر ، فأتت المبالغة لتطمينهم بالمغفرة ، بشرط التوبة والإيمـــان والعمـــل الصالح .

إن مباحث البناء الصرفية كثيرة ومتعددة كاختلاف الأبنية في الحرف الواحد ، فقـــد قالت العرب : " (رجل مُبَطّنٌ) إذا كان خميص البطن ، و (بطين) إذا كان عظيم البطن ، و (مبطون) إذا كان عليل البطن ، و (بَطِنٌ) إذا كان منهوما نَهِما ، و (مِبطان) إذا ضخُم بطنه من كثرة ما يأكل . " [١]

وكاللواصق وما تحدثه من أثر على المعنى وتكون في أول الكلمة أو في آخرهـــا أو في الاثنتين معا ، نحو : (الضاربة) الـــ + ضارب + ة

لاصقة + الكلمة + لاصقة

- ونحو : مرضع + ة ←——————مرضعة

(فمرضع) كل امرأة أنجبت طفلا وفي صدرها لبن لطفلها ، أمّا (مرضعة) فوضـــع المرأة أثناء عملية الإرضاع وفم ابنها في صدرها ؛ لذلك جاء قوله تعالى: (يوم تروْنها تذهل كل مرضعة عما أرضعت)[٢] .

[1]- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص٣٢٦ .
[2]- الحج ، الآية : ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك لتبيان شدة الهلع والفزع ، ذلك أن الأم تكون في حالة التصاق مع رضيعها أثناء عملية الرضاعة ، وعليه تكون في أعلى درجات الحنان لوليدها ، ومع هذا فإنها تنصرف عنه من فزع يوم القيامة . والذي نقل ووضح لنا هذا المعنى هو اللاصقة وهي هنا (ة) " يقال (امرأة مرضع) إذا كان لها لبنُ رضاعٍ ، و (مرضعة) إذا أرضعت ولدها . " [١]

وقولنا (امرأة حائض) و (امرأة حائضة) ، فوجود اللاصقة (ة) في بنية الكلمة أعطتها معنى الوقتية الحالية ، أي أن المرأة في هذا الوقت ينزل عليها الدم .

وعليه يتبين لنا أهمية البناء الصرفي على المعنى وأثره في تحقيق الدلالة . ولما كانت مباحث الصرف متعددة وكثيرة ومتداخلة أحيانا ، كان على الناظم أن يراعيَ مبانيَ أوزانه الصرفية ليخلص إلى المعنى الدقيق الذي يريد .

[1]- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص٢٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفـــصـــل الســـادس

الـــلـــوازم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللوازم

أعني بمصطلح اللوازم ما يلزم الكلام أو الجملة من أحوال لا تنفك عنهما . وأحببت أن أضع مثل هذا المصطلح لأدرس الأحوال التي تحيط بالكلام أو الجملة . وعندي أن اللوازم تشمل :

لازمة السياق – لازمة المقام – لازمة الحدث – لازمة المتكلم – لازمة المتلقي – لازمة الزمان – لازمة المكان – لازمة الثقافة – اللازمة النفسية – لازمة الإشارة .

وأرى أن دراسة اللوازم يجب أن لا تخرج عن هذه الكلية ، ذلك أنه يصعب علينا فهم الكلام بعموميته وخصوصيته دون تحليل تلك اللوازم التي تمكننا من تكوين تصور عام وخاص عن طبيعة هذا الكلام ، أو هذه الجملة الأمر الذي يؤدي إلى فهم المعنى وتحقيق الدلالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- لازمة السياق

يعرف السامرائي السياق بقوله : " السياق هو مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض . " [١] وأحب أن أعدل على تعريف أستاذنا فأقول : السياق هو هيئة مجرى الجمل وكيفية نظمها واتصال بعضها ببعض ومعرفة أحوالها في الكلام .

وبنيت هذا الاستدراك على ما فهمته من معنى الجملة والكلام . وأقصد بالهيئة الكيفية التي تم بها تركيب الجملة من حيث المجمل والقطع ، وتخصيص العام وتقييد المطلق .

المجمل : " ما لايوقف على المراد منه إلا ببيان من جهة المتكلم نحو قوله تعال: -

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فإنه مجمل في ماهية الصلاة ومقدار الزكاة . "[٢]

- القطع : " كون الكلام مقطوعا عما قبله لفظا ومعنى . " [٣]

فمعرفة السياق كما رأينا تتطلب فهما عاما وآخر خاصا يحدده الكلام في هيئته النهائية أو الجملة إذا كانت مستقلة ، ولا يتأتى للمحلل تحديد هذا الفهم إلا بعد أن يتعرف

[1]- فاضل السامرائي ، الجملة العربية ، ص٦٣ .
[2]- أبو البقاء الكوفي ، الكليات ، ص٨٤٦ .
[3]- المصدر نفسه ، ص١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الماهية الكلية للكلام أو الجملة ، كنحو قوله عز وجل : " ذق إنك أنت العزيزالكريم " [١]. " إذ لا يتبين لك من سياقه الجزئي المنقطع المعنى المراد فظاهر الآية – الجملة – يدل على أن السياق دال على التكريم ، والأمر ليس كذلك ، فحقيقة السياق بالمجمل التهكم والسخرية . فكيف يمكن لي الاستدلال على أن هذا هو المقصود لولا معرفتي بما قبل الآية من آيات – جمل – تنتظم في معنى هذا السياق، وهو السخرية والتهكم والذلة : (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم) . [٢]

وفي العبارة المشهورة (كلمة حق أريد بها باطل) لا يمكن لك فهم المعنى المراد من كلمة الحق هذه إلا بعد أن تكون قد عرفت الحالة السياقية التي وردت فيها هذه العبارة ، وبعد أن تكون قد عرفت ما يحيط بالجملة من أحوال غامضة لا يمكن لك أن تفهمها من خلال جملة .

– لازمة المقام :

[1]- الدخان ، الآية : ٤٩ .
[2]- سورة الدخان ، الآيات : ٤٧ – ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو " الحالة التي يقال فيها الكلام ، وذلك كأن يكون المقام مقام حزن و بكاء ، أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أو غير ذلك . " [١] فللمقام دور في معرفة السبب العام للكلام أو الجملة ، أو معرفة نوع المقام من حزن أو فرح أوذم فليس من المناسب ، مثلا ، أن نذكر في مقام التوبيخ عبارات أو تعليقات مضحكة ، أو ما يمكن أن يؤوّل إلى هزل . وهذا كثير في حياتنا ، فنقول للقائل : (لا تخلط الجد بالهزل) .

- لازمة الحدث الكلامي :

والحدث الكلامي أعم وأشمل من المقام ؛فمن خلاله أتعرف على أسباب ما قيل ودوافعه ، ومناسبة الكلام الخاصة والعامة . وفيه أنظر إلى كمية الكلام المتبادل بين أطراف الحديث بحيث أتمكن من تحليل هذه الكمية ، وأرى مناسبتها لكل من المقام والمتلقي والمتكلم . وأنظر في أسلوب الحوار القائم بين المتكلم والمتلقي ، وأنظر في الكيفية التي جرى فيها الحدث الكلامي .وأحاول أن أنتبه لأسباب الحدث الكلامي الفرعي ، فلعل الفرعي يكون هو السبب الرئيس للحدث الكلامي ، وليس ما هو ظاهر لنا .

- لازمة المتكلم :

[1]- فاضل السامرائي ، الجملة العربية ، ص٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمتكلم محدث الكلام أو الجملة ، ولابد من معرفة ماهية المتحدث ، وأن أحاول إنعام النظر فيه لأسبر أغواره ، ذلك أن المتكلم عند تكلمه تشترك عدة عوامل في صياغة كلامه : نفسية وجسدية وفكرية ، وغير ذلك من أمور يصعب علينا الإحاطة بها ، ولكن نحاول أن نقترب منها لندرك حقيقة المعنى في أجزائه وكليته ، وفي نهاية الأمر الدلالة المقصودة . وإن أمكن لي أن أتعرف على المتكلم من حيث لغته ، وتمكنه من اللغة ، وقدرته على التعبير الكلامي ، فهذا أدعى إلى فهمه بصورة أدق .

- لازمة المتلقي :

المتلقي العنصر الثالث من العملية الكلامية بعد المتكلم والكلام ، ولا يمكن الاستغناء عنه ، ذلك أن الكلام إنما قيل له ، ولابد من معرفة جميع ما يحيط به ليسهل علينا تحليل الكلام ، ولا يمكن لنا أن نتبين كنه الكلام إلا أن نتعرف على المتلقي ، فننظر هل الكلام مناسب له ، وهل يمكن للمتلقي أن يفهم ظاهر الكلام وباطنه ، وهل يمكن له أن يدرك حقيقة ما أقول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي العمل الأدبي ، الحديث عن المتلقي أمر في غاية الأهمية . فهل من الـــشرط أن يدرك المتلقي كل كلام المتكلم ؟ وهل يتكلم المتكلم بكلام هو من بيئته أم من بيئـــة المتلقي ؟ (كما فعل رسولنا الكريم في الحديث المشهور :" ليس من البر الـــصيام في السفر ". بإبدال لام أل التعريف ميما) . وهل يرقى الأديب بعمله فيصعد إليه المتلقي أم ينـــزل الأديب إلى مستوى المتلقي ؟ وقديما سئل أبو تمام : لماذا لا تقول ما يُفهم ؟ فأجاب : ولماذا لا تفهمون ما يُقال ؟ فأرجع العجز عن الفهم إلى المتلقين .

الأمر إذن ليس بالسهولة المتوقعة ، وعلى المتكلم أن يراعي المتلقي وعلى المتلقـــي أن يرقى لمستوى المتكلم ولكن تبقى هناك منطقة بين المنـــزلتين وهي للعالم أو الناقد أو المحلل أو المفسر ، فيكون كحلقة الوصل بينهما ، على أن لا يكون هناك غموض تام في كثير من كلام المتكلم أو في أغلبيته (كحال أدباء الرمزية والسِّريالية) ، مع إمكان بقاء بعض الأمور مغلقة على التفسير أو التعليل حتى عند أهل العلم أو الاختصاص ؛ ليبقى النص الأدبي متجددا قابلا للنظر مرة بعد مرة .

- لازمة الزمان :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعد الزمن من العوامل المساعدة في معرفة أجزاء من المعنى ، ويمكننا التعرف على الغاية والغرض أو سبب الحدث الكلامي من خلال معرفتنا للزمن الذي حدث فيه الكلام .

وعندي أن الزمان ينقسم إلى قسمين :

١ – الزمن الجزئي : وهو زمن الكلام في لحظته من حيث الوقت أو المدة ، فمثلا نقول إن هذا الكلام حدث الساعة العاشرة ليلا فقد حددت الوقت بالأرقام ، وكونَه في الصباح أو في المساء .

وهذا التحديد يساعد على التحليل والتعرف على أحوال الكلام ، ومعرفة زمن الكلام يؤدي إلى التعليل والتفسير ، ومعرفة جزء من أجزاء المعنى للوصول في نهاية الأمر إلى الدلالة الكلية .

فانظر معي إلى قوله تعالى : " قد نرى تقلب وجهك في السماء "[1] فما أجمل أن يقلب الواحد منا وجهه في السماء ليلا ، يناجي ربه ، ذلك أن جماليات النظر تكون في تجلياتها ليلا ، فيأخذه شعور لا يعرف منه إلا أنه في ملكوت الله ومع الله ؛ لذلك فإن ربنا تبارك وتعالى يتنزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فانظر ماذا تصنع .... . فكان تقلب وجهه الشريف ليلا يناجي ربه بشأن القبلة .

[1]- البقرة ، الآية :١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك قوله تعالى : " إنا فتحنا لك فتحا مبينا " [١]. وكانت رؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون الرؤيا نهارا ، إلا أن الرؤيا والأحلام يكون جلها في الليل ، ذلك أن معظم الناس يخلدون إلى النوم ليلا ، أما النهار فالنوم فيه استثنائي . وانظر معي بعد ذلك إلى طبيعة التحليل بعد أن عرفنا زمن نزول الآية وهو الليل على ما يقول صاحب الإتقان – السيوطي – ، ولنا أن نتخيل تأثير نزول الآية ليلا في نفس رسولنا الكريم ، إذ بشرته بالفتح في وقت يوحي بالإغلاق والوجوم وهو الليل . فالليل مبشر ، وكأن الإنسان ينتظر البشرى والأمل في رؤية يراها .

وإنا لنجد أن علم النوم وما يحدث فيه أصبح علما مستقلا .

٢ – الزمن العام : وهو تحديد المدة الزمنية كأن أقول : إن هذا الكلام حدث في سنة كذا في القرن كذا . فذلك يعطي ظلالا للناظر في المعنى تمكنه من الوصول إلى جزيئات المعنى وليس المعنى كله ، فالزمن العام يحدد لي خصائص العمل الأدبي أو الكلامي في ذلك الوقت من الزمان ، وبه أتعرف على طبيعة الشخصيات التي كانت سائدة في ذلك الوقت وعلى ذوقهم ، وعلى أسلوبهم في الكلام ، حتى رموزهم

[1]- الفتح ، الآية : ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغوية، وأصل إلى معرفة كناياتهم الخاصة والتعرف على دلالات بعض المفـــردات ، فللمفردات صيرورتـــُها الخاصة في الزمان . ألا ترى أن دلالة (السيارة) في ســـورة يوسف تختلف عما نفهمه منها الآن ؟ وكذلك المواقف الإجتماعية لهـــا صـــيرورتها الخاصة بها ، والزمن العام يمكنني من معرفة هذه الصيرورة التي لا يمكن لي أن أتجاهلها. و عليّ بعد ذلك أن أقوم بمحاولة لربط العلاقات القائمة بين الزمان و الكلام من جهة ، وبين الزمان والمتكلم والمتلقي من جهة أخرى .

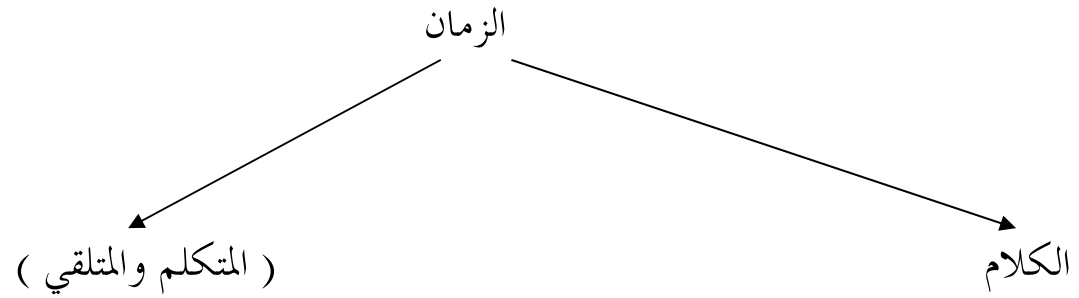

-لازمة المكان :

يعمل المكان على تحديد قدر مهم في فهم المعنى ذلك أن لكل مكـــان خـــصوصيته ، فالمكان يفرض على المتكلم أسلوبا معينا ، وطريقة محددة ، لا يمكن تجاوزها ، فإن فعل فقد خرج عن المألوف ، وفقد الكلام معناه الصحيح . وأرى أن للمكان ظلالا مـــن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأثير النفسي على المتلقي والمتكلم سواء . وكأنني بالمكان يحدد – إلى حد لا يستهان به – الكلام من حيث طبيعته نظما ومعنى ، وقد يوجه في نهاية الأمر دلالته النهائية . إذ يفرض المكان طبيعة الكلام وأسلوبه على المتكلم ، ويفرض على المتلقي حالة معينة للتلقي و الاستماع لا يمكن تجاهلها ، فالاستماع إلى خطبة في مسجد غير الاستماع إليها نفسِها في صالة أو ملعب ، ومخاطبة وزير مثلا في بيته غير مخاطبته في مقر وزارته. وهذا يعلمنا كيف نتكلم ، وكيف نستمع ، وكيف ننوع من طبيعة كلامنا ، وكيف نتقن فن الاستماع والتلقي تبعا للمكان الذي نحن فيه . ويمكن أن يفيدنا هذا عمليا في أن نجتهد بوضع طرائق للكلام وأخرى للاستماع تناسب كل مكان ، بعد حصر افتراضي لميادين الممارسة العملية للكلام واللغة في حياتنا .

وعند النظر للمكان يفترض بنا أن نحاول تحديد المكان من ناحيتين :

١– المكان الخاص :

يُحمد للمتبصر في الدلالة أن يجتهد في تحديد المكان الخاص الذي حدث فيه الحدث الكلامي ، إذ يعمل مثل هذا التحديد على تحديد المعنى بشكل أدق ، فيعمل على إيجاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة بين كل من المكان والدلالة ، وما هي العلاقة القائمة بين المتكلم والمكان و بين المتلقي والمكان ، وبين الكلام والمكان وأن يحاول إيجاد منظومة بين هذه الأبعاد :

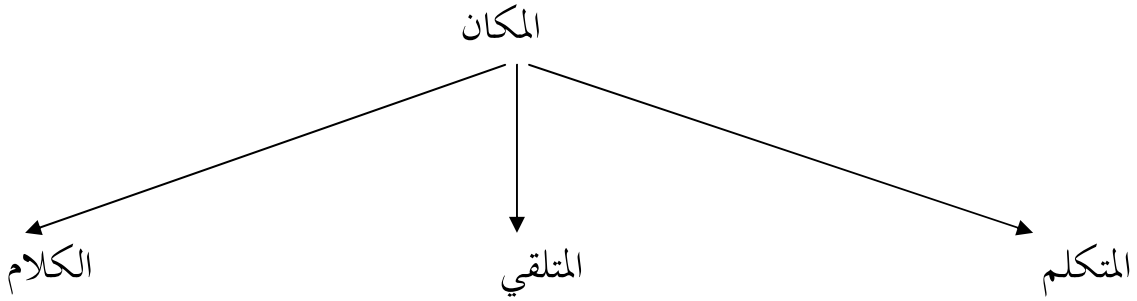

وهنا نلاحظ أن العلاقة بين المكان وكل من المتكلم والمتلقي مختلفة ؛ لاختلاف موضع المكان من نفسيهما ، بينما نجدها في الزمان متفقة ، ذلك أن الزمان قاسم مشترك يقع على الاثنين ، أي إن عامل الزمن عامل عام ، بينما عامل المكان عامل خاص .

ومن خلال النظر يمكن لي أن أعمل جاهدا لمحاولة تحديد المكان الخاص ، أي أن أعمل إن أمكن على تحديد أصغر دائرة للمكان الذي وقع فيه الحدث الكلامي ؛ لأتمكن ساعتئذ من معرفة طبيعة الكلام وأثره على النظم والمتكلم والمتلقي ، فكلما ضاقت هذه الدائرة تمكن الدارس من معرفة بواطن المعنى وكنهه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- المكان العام :

والمكان العام الذي تم فيه الحدث هو الدائرة الكبرى للمكان ، وهو فرعان : كلي وجزئي . والمكان العام يعطي الكلام دلالة عامة محددة مغايرة لدلالته إن قيل في مكان عام آخر . فإذا حدث الكلام في مصر نُظر إليه نِظرة مختلفة عما لو حدث في بلد آخر. إذ لكل بلد طبيعته الخاصة به ، وظروفه المختلفة وبيئاته المتعددة التي يتمتع بها . فقولك في الأردن : (عندي أرنب) يفهم منه امتلاكك الحيوان المعروف . وأما في مصر فقد يعني امتلاكك مليونا من الجنيهات .

وفي المكان العام الواحد (الكلي) ، يمكن أن نلحظ عدة أماكن عامة متفرعة من المكان العام (الجزئية) ، إذ يحتمل أن أجد مكانا يتمتع بالأشجار والغابات وبأجواء مناخية معتدلة في بلد ما ، كما يحتمل أن أجد فيه أماكن صحراوية لها طبيعتها الخاصة بها .

المكان العام

كلي جزئي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أننا سنلحظ عوامل مشتركة ضمن هذه الأماكن العامة الجزئية المتعددة ، ويرجع ذلك إلى الفكر العام السائد ، والثقافة العامة التي تفرض نفسها على البلد الواحدة .

- لازمة الثقافة :

يقوم المكون الثقافي بدور مهم في معرفة المعنى في دلالة اللوازم ، ذلك أن الثقافة تحدد لنا مدى فهم المتلقي للكلام ، ومدى إدراك المتكلم لكلامه : أهو على علم بمعنى نظم كلامه على النحو الذي أراده أم لا يدرك ذلك ؟ فنسمع منه الجملة المشهورة (لم أقصد هذا) .

وللثقافة دور في تفتيق المعاني ، فالمثقف يعتني بمعانيه ، فيعمل لذلك على انتقاء ألفاظه واختيار تراكيبه وتعابيره . وقل مثل ذلك عن المتلقي ، فإنه إن كان مثقفا فقد يفهم المعنى بطريقة مختلفة عن غير المثقف . فلا بد من التعرف على ثقافة كل من المتكلم والمتلقي وعلمهما ، إن أمكن ذلك .

ونذكر هنا أهمية معرفة التجارب السابقة لكل من المتكلم والمتلقي . فالمعري مثلا سافر إلى انطاكية وغيرها " و لم تهدأ نفسه ، فطاف سواحل الشام فعرفته انطاكية واللاذقية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطرابلس ، وزار مكتبتها الضخمة ، وربما لزمها أياما."[1] ، إذن يمكن أن نعرف بذلك دلالة ما ورد في بعض تأليفاته كرسالة الغفران وكيف تأثر بحالة نفسية معينة يمكن ملاحظتها عند قراءة هذه الرسالة . ومفهوم (الديمقراطية) ، مثلا ، له عند صاحب الثقافة الإسلامية دلالة لا تتطابق مع من درس على الغربيين ، وعاين تجربتهم وتمثّل ثقافتهم .

-لازمة الحالة النفسية :

إن الحالة النفسية تعكس كلمات بأعيانها ومعاني لا تنفك عنها . وعليه فإن هذا المعنى يكون خاصا بهذه الحالة النفسية لا بغيرها . ذلك أن المتكلم يتأثر في نظمه بما يكون عليه من وضع نفسي حال إنشاء النظم ، وكذلك المتلقي ، فإنه يفهم معنى الكلام تبعا لحالته النفسية التي يكون عليها . فإذا ما فارقت تلك الحالة النفسية كلا من المتكلم والمتلقي ، فإن المعنى قد يتغير نظمه عند المتكلم ، وقد يتغير فهم المتلقي للمعنى ولقصد المتكلم .

فنظم المعاني وفهمها يتغيران بتغير العامل النفسي ، أما في حالة الاستقرار النفسي فإن المعاني ثابتة وفهم المتلقي ثابت . ولكن هل يمكن ذلك ؟

[1]- المعري ، رسالة الغفران ، ص٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعل من خصائص الحالة النفسية للبشر أنها متغيرة ولا يمكن أن تستقر على وتيرة واحدة ، وهذا التغير يعطي للعمل الكلامي والعمل الأدبي إبداعا وألقا ، ذلك أننا سنقف على حالات متعددة تعكس موافقات ، وأحيانا مطابقات ، مع الأحوال النفسية المتغايرة عند المتلقي ، فيأنس المتلقي بهذا التنوع من الكلام ، وتقع الأعمال الأدبية في نفسه موقعها المؤثر .

فالحالة النفسية عامل مهم في جمع أو تفريق المتكلم والمتلقي . وعليه ، يجب علينا أن ننظر في الحالة النفسية لكل منهما ؛ لنتمكن من فهم جزء من أجزاء المعنى في دلالة اللوازم . فهذا موسى عليه السلام يقفل عائدا إلى مصر ، ولم تكن الرسالة قد نزلت عليه فكلّمه ربه في طريق عودته ، وسأله عن تلك العصا التي بيده ، وطلب منه أن يلقيها ، فلما ألقاها موسى وتحولت إلى حية تسعى خاف ، وولى مدبرا (ولّى مدبرا ولم يعقب ...)[1] . وانظر معي إلى قوله تعالى (ولم يعقب)لتدل على الحالة النفسية لموسى عليه السلام وهي الخوف والجزع لذلك جاء قوله تعالى في نفس الآية: " يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون " . وحين عرف موسى ربه و استقر الإيمان في قلبه وواجه السحرة، كانت ثقته بالله كبيرة ولكنها غير مطلقة (فإذا

[1]- النمل ، الآية : ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حبالُهم وعِصِيُّهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة)[1] .

وتأمل معي كلمة (أوجس) وما تحمل من دلالة نفسية دقيقة تنمّ عن هاجس الخوف الخفي الذي كان في صدر موسى عليه السلام و لم يظهرهه . ولأن الأمر كذلك قال له ربه : (قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى)[2] فالحالة النفسية لموسى عليه السلام مازالت تتطلب الطمأنينة والتثبيت . ولما هرب ببني إسرائيل ووصل بهم البحر وخاطبه قومه بقولهم (إنا لمدركون ..) أجابهم بنفسية ثابتة وثقة بالله مطلقة (قال كلا إن معي ربي سيهدين)[3] لذلك لم تعقب الآية بطمأنينة موسى عليه السلام، لأن حالته النفسية وثقته بالله مطلقتان ، بل جاءت الآية (فقلنا اضرب بعصاك البحر .) . انظر معي كيف تناسبت الكلمات مع دلالة الحالة النفسية لسيدنا موسى عليه السلام ، وكيف كانت متفقة مع هذا التدرج بالثقة بالله حتى وصلت إلى الثقة المطلقة .

- لازمة الإشارة :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور و لم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

[1]- النمل ، الآيتان : ٦٦ ، ٦٧ .
[2]- النمل ، الآية : ٦٨ .
[3]- الشعراء ، الآية: ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحمل الإشارة معنى يقصده المتكلم ويفهمه المتلقي في أغلب الأحيان ، وإلا لم يكن للإشارة معنى ، فتكون حركة زائدة يعاب عليها المتكلم ، إلا إذا أراد المتكلم قصدا بعدم إدراك المتلقي لمعنى الإشارة . وتعد الحركة ، واستخدام الإشارة من العوامل المساعدة والمهمة في إيصال المعنى وفهمه .

فنحن نقرأ كثيرا : (وأشار – صلى الله عليه وسلم – بالسبابة والوسطى) ، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم الإشارة في كلامه ، فقد ورد في وصف كلامه صلى الله عليه وسلم " ... إذا أشار أشار بكفِّه كلِّها ، وإذا تعجب قَلَبَها ، وإذا تحدَّث اتصل بها ، وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليُسرى . وإذا غضب أعرض وأشاح . وإذا فرِح غضَّ طرْفَه .... " [1] . وهذا يدلل على تنوع الإشارة عند صاحبها، وأن كل إشارة تحمل مدلولا خاصا بها يفرضه صاحب الإشارة ، أو المجتمع في بيئته الخاصة . وجاء في السنة النبوية الشريفة أنه كان صلى الله عليه وسلم ينقل نظره إلى جميع أهل المجلس لما تحمل هذه النظرات من إشارات يمكن أن تعين على

[1]- محمد بن سورة الترمذي ، الشمائل المحمدية ، ص١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى المتولد من الحدث الكلامي " يعطي كل جلسائه نصيبه ، لا يحسبُ جليسُه أن أحدا أكرم عليه منه"[١]

وكتب التراث حافلة بالإشارة ، ودلالتُها يمكن لنا أن نستفيد منها في فهم المعنى . ولما كان لكل مجموعة من الناس إشاراتهم الخاصة بهم ؛ كان لا بد لنا من الاندماج مع أفراد المجموعة المختلفة عنا حتى نتمكن من فهم معانيهم الخاصة ، والتي تكون مصاحبة لإشارات لا يمكن أن نفهمها – أحيانا- إلا من خلال التعايش معهم . ومن الأهمية بمكان لمن يدرس لغة قوم أن يندمج معهم حتى يتسنى له فهم المعاني التي تحملها الإشارات المتعددة ، وبذلك يسهل عليه اكتناه مرادهم في مواقف الحياة المختلفة : ترحيبا ورضاء وإعراضا وإقبالا وغير ذلك .

فرفع المسلم إبهامه مشير إلى وحدانية الله ، وهو رمز قد لا يفهمه إلا من كان على دينه ، أو من اندمج في المجتمع المسلم . واختلاف إشارات التحية والترحيب لدى الشعوب المختلفة دليل آخر على أن للإشارة بعدا ثقافيا واجتماعيا خاصا .

[1]- عبد اللع سراج الدين ، سيدنا محمد رسول الله ، ص٢٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخـــاتـــمـــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس لهذا البحث أن يدعي الكمال في بابه ، فلم يكتب أحد ما يغلق الباب دون من بعده . غير أن صاحب البحث يرجو أن يكون جهده إضافة مميزة لموضوع الدلالـــة ، الذي قلّ طارقوه في القديم والحديث . ومن هنا كانت صعوبة البحث .

ومما أراه جديدا في ما انتهت الدراسة إليه :

– ربط عناصر اللغة بالدلالة ، وجعل غاية هذه العناصر تحقيقها والوصول إليها .

– مالت الدراسة إلى رفض فكرة الترادف في اللغة ، متابعة لمن قال بـــذلك ، فلكـــل مفردة في المعجم دلالتها التي لا تطابق دلالة أختها ، وإن تقاربتا معنى .

– لفتت الدراسة النظر إلى بعض جماليات القرآن الكريم التي كان قوامها التصرف في البناء الصرفي للكلمات ، والعدول إلى باب عن باب ، تحقيقا لدلالة أنسب في السياق.

– خلصت الدراسة إلى وجود علاقة بين الصوت والمعنى في بعض الأحايين ، خلافا لرأي ذهب إلى وجود تلازم عضوي بينهما .

– يؤدي الإيقاع الموسيقى دورا في المعنى من خلال ائتلاف الألفاظ في منظومة بنائية تعطي جرسا موسيقيا جميل الوقع في أذن المتلقي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ميز البحث بين السكت والوقف في القرآن الكريم وغيره ، فجعل السكت خاصا بالقرآن الكريم وحده .

– توسع البحث بأمثلة تأثير الحركة الإعرابية في المعنى ؛ لأن الإعراب من خصائص العربية .

– التفت البحث إلى بعض ما يؤثر في الدلالة من عناصر غير لغوية ، كحالة المتلقي والمتكلم وثقافتهما وغير ذلك مما أسميته باللّوازم .

– يمكن من خلال درس اللوازم إخراج بعض الاستنتاجات إلى مجال التطبيق اللغوي في مواقف من الحياة مختلفة .

– يمكن لدارسي اللغة ، أو الآثار الأدبية أو مفسري كتاب الله أو محللي النصوص أن يستفيدوا من عناصر تحقيق الدلالة التي وردت في البحث ، ويتزلوا النصوص عليها سعيا لفهم أدق لما يدرسون . إذ ترى الرسالة أنها تقدم لهم أدوات للتحليل والفهم .

هذا بعض ما انتهى إليه البحث .

واللهَ أسأل أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع ، والحمد لله رب العالمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قـــائمـــة المصـــادر والمراجـــع

* القرآن الكريم

أ) المصادر

ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت **392** هـــ) ، **الخصائص** ، (ط٢) ، تحقيق محمد النجار ، دار الهدى ، لبنان .

ابن الحاجب ، جمال الدين بن عمر (ت **570** هـــ) **كتاب الكافية في النحو** ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن السراج ، محمد بن سهل (ت **316** هـــ) ، **الأصول في النحو** ، (ط١) ، تحقيق عبد الحسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، **1985** .

ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي ، (ت **458** هـــ) **المخصص** ، دار الآفاق الجديدة ، المكتب التجاري ، بيروت ، **1960** .

ابن فارس ، أحمد بن فارس ، (ت **395** هـــ) **الصاحبي** ، (ط١) ، تحقيق عمر الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، **1993** .

ابن فارس ، أحمد بن فارس ، (ت**395** هـــ) ، **معجم مقاييس اللغة** ، (ط١)، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، **1969** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن القاسم ، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت **328** هـــ) **الأضداد في اللغة** تحقيق محمد عبد القادر الرافعي ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، **1907** .

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت **276** هـــ) ، **أدب الكاتب** ، (ط١) ، تحقيق محمد الدالي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، **1982** .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت **774** هـــ) ،**تفسير القرآن العظيم**، (ط١)، تحقيق سامي ابن محمد السلامة ، دار طيبة ، لبنان ، **1997** .

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت **711** هـــ) ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت .

ابن هشام ، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت **761** هـــ) ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، ط**6** ، تحقيق مازن مبارك ، دار الفكر ، بيروت ، **1985** .

ابن يعيش ، موفق الدين النحوي (ت **643** هـــ) ، **شرح المفصل** ، عالم الكتب ، لبنان.

أرسطو طاليس (ت **322** ق . م) **فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، **1953** .

الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت **502** هـــ) ، **المفردات في غريب القرآن** (ط١) ، تحقيق محمد عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، **1998** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت **216** هـ) **ثلاث كتب في الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت** ، ط**1** ، تحقيق أوغست هنغر ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، **1912** .

الأنباري ، أبو البركات محمد بن القاسم (ت **235** هـ) ، **البيان في غريب إعراب القرآن** تحقيق طه عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، **1969** .

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن سورة صاحب السنن ، (ت **279** هـ) ، **الشمائل المحمدية**، (ط١) ، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، **1996** .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني ، (ت **255** هـ) ، **البيان والتبيين** ، (ط١)، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، **1948** .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني ، (ت **255** هـ) **الحيوان** ، (ط١)، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي ، القاهرة ، **1938** .

الجاربردي ، أحمد بن الحسن فخر الدين أبو المكارم (ت **746** هـ) ، **مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط** ، دار الطباعة العامرة ، اسطنبول ، **1983** .

الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت **472** هـ) ، **دلائل الإعجاز** ، (ط١) تحقيق محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، **1984** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت **816** هـــ) ، **التعريفات** ، (ط١) ، دار الكتب العلمية، لبنان ، **1995** .

الحلبي ، أحمد بن يوسف (ت **756** هـــ) **الدر المصون** ، (ط١) ، تحقيق أحمد الخراط ، دار القلم ، سوريا ، **1986** .

الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت **444** هـــ) ، **المكتفى في الوقف والابتداء** ، (ط١) تحقيق جايد زيدان مخلف ، مطبعة وزراة الأوقاف والشؤون الدينية ، العراق ، **1983** .

الرازي ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت **606** هـــ) ، **التفسير الكبير** ، (ط٢) دار إحياء التراث ، بيروت .

الرازي ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت **606** هـــ) ، **المحصول في علم الأصول** ، (ط١)، طه العلواني ، جامعة الإمام محمد ، السعودية ، **1979** .

الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت **311** هـــ) ، **معاني القرآن وإعرابه** ، (ط١) تحقيق عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب ، لبنان ، **1988** .

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق بن النهاوندي (ت **337** هـــ) **كتاب الإبدال والمعاقبة ، والنظائر** ، (ط١) ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق **1962** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزمخشري ، أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر بن محمد (ت **538** هـــ) ، **الكشاف** ، دار المعرفة ، لبنان .

الاستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسين ، (ت **686** هـــ) ، **شرح شافية ابن الحاجب** (ط١) ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، **1982** .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت **911** هـــ) **همع الهوامع** ، دار المعرفة ، لبنان .

سيبويه ، أبو عثمان عمرو بن عثمان بن قنبر (ت **180** هـــ) ، **الكتاب** ، (ط٣)، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، لبنان ، **1983** .

الصبان ، محمد بن علي الصبان أبو العرفان (ت **1206** هـــ) **حاشية الصبان على شرح الأشموني** ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

الصيمري ، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق (ت **540** هـــ) ، **التبصرة والتذكرة** ، ط **1**، تحقيق فتحي احمد مصطفى على الدين ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة ، **1982** .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت **310** هـــ) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار الفكر ، لبنان ، **1988** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سعيد (ت **382** هـ) **الفروق اللغوية** ، (ط١)، تحقيق حسام القدسي ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت **505** هـ) ، **معيار العلم** ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، **1961** .

الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت **1094** هـ) **الكليات** ، (ط١)، تحقيق عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، **1993** .

المعري ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سلمان التنوخي (ت **449** هـ) **رسالة الغفران**، (ط٢)، تحقيق محمد عزت نصر الله ، دار الشمال للطباعة ، طرابلس ، لبنان ، **1986** .

مكي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب ، (ت **437** هـ) ، **مشكل إعراب القرآن**، (ط٣)تحقيق حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، **1987** .

الميداني ، أبو الفضل النيسابوري (ت **518** هـ) ، **مجمع الأمثال** ، تحقيق محمد محي عبد الحميد ، دار المعرفة ، لبنان .

النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر (ت **338** هـ) **معاني القرآن** ، (ط١) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، **1989** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – المراجع

إبراهيم أنيس ، **الأصوات العربية** ، (ط٤) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، **1971** .

إبراهيم أنيس ، **من أسرار العربية** ، (ط٧)، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، **1985** .

إبرهيم انيس ، **موسيقى الشعر** ، دار الفكر للطبع والنشر ، القاهرة .

إبرهيم بن مراد ، **مقدمة لنظرية المعجم** ، (ط١) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **1997**

أحمد أبو زيد ، **التناسب البياني في القرآن** ، (ط١) ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، **1992** .

أحمد صفوت ، **جمهرة خطب العرب** ، (ط١) ، المكتبة العلمية ، بيروت .

أحمد صفوت ، **جمهرة رسائل العرب** ، (ط١)، المكتبة العلمية ، بيروت .

أحمد مختار عمر ، **دراسة الصوت اللغوي** ، (ط١)، عالم الكتب ، القاهرة ، **1976** .

بروكلمان ، **فقه اللغات السامية** ، (ط١) ، ترجمة رمضان عبد التواب ، جامعة الرياض ، السعودية ، **1977** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برجشتراز ، **التطور النحوي** ، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب ، القاهرة ، **1982** .

تمام حسان ، **اللغة العربية معناها ومبناها** ، (ط٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، **1985** .

تمام حسان ، **مناهج البحث في اللغة** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، **1955** .

حسام النعيمي ، **أبحاث في أصوات العربية** ، (ط١) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، **1988** .

حسام النعيمي ، **ابن جني عالم العربية** ، (ط١)، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، **1990**.

حسني الشيخ عثمان ، **حق التلاوة** ، (ط٣)، دار الهدى ، عمان ، **1987** .

خليل عمايرة ، **في نحو اللغو وتراكيبها** ، (ط١) ، عالم المعرفة ، جدة ، **1984** .

دي سوسير ، **دروس في الألسنية** ، (ط١)، ترجمة صالح القرمادي ، الدار العربية للكتاب ، لبنان ، **1985** .

رمضان عبد التواب ، **فقه العربية** ، (ط٢) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رمضان عبد التواب ، **المدخل إلى علم اللغة** ، (ط٢) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، **1985** .

روز غريب ، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي** ، (ط١)، دار العلم للملايين ، بيروت ، **1952** .

زكي نجيب محمود ، **المنطق الوضعي** ، (ط١)، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، **1961** .

ستيفن أولمان ، **دور الكلمة في اللغة** ، (ط١)، ترجمة كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة **1962** .

سيد قطب ، **التصوير الفني في القرآن** ، دار المعارف ، مصر .

عبد الله سراج ، **سيدنا محمد رسول الله** ، (ط٤) ، مطابع الأصل ، حلب ، سوريا .

فاضل السامرائي ، **معاني الأبنية في العربية** ، (ط١) ، جامعة الكويت ، الكويت ، **1981**

فاضل السامرائي ، **الجملة العربية تأليفها وأقسامها** ، (ط١) ، دار الفكر ، الأردن ، **2002**

فهمي حجازي ، **مدخل إلى علم اللغة** ، (ط٢)، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، **1995** .

كمال بشر ، **الأصوات العربية** ، (ط١) ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، **1987** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد الأمين الشافعي ، **تفسير حدائق الروح والريحان** ، (ط١)، دار طوق النجاة ، لبنان ، **2001** .

محمد الأمين الشنقيطي ، **أضواء البيان** ، عالم الكتب ، لبنان .

محمد الحسناوي ، **الفاصلة في القرآن الكريم** ، (ط٢)، المكتب الإسلامي ، بيروت **1986**

محمد الزرقاني ، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، (ط١) ، دار الفكر ، لبنان ، **1996**

محمد علي التهانوي ، **كشاف اصطلاحات الفنون** ، (ط١) ، سهيل أكيدمي أردوبازار ، لاهور ، باكستان ، .

محي الدين رمضان ، **وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن** ، (ط١)، دار الفرقان ، الأردن **1982** .

مصطفى صادق الرافعي ، **تاريخ آداب العرب** ، (ط٢)، دار الكتاب ، لبنان ، **1974** .

نعوم تشومسكي ، **جوانب من نظرية النحو** ، (ط١)، ترجمة مرتضى جواد باقر ، جامعة البصرة ، العراق ، **1983** .

نهاد الموسى ، **العربية نحو توصيف جديد** ، (ط١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن **2000** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج – المراجع الأجنبية :

1- Bloomfield,(1933) **Language**.Holt, Rine Hart and Winston.New York.

2- Jones, Daniel, (1967) **An out Line of English Phonetics**, Comblidge.

3- Lyons, (1977) **Introduction to Theoretical Linguistics** . Cambridge University Press . London and New York.

4- Martinet, (1964) **Elements of Genwral Linguistics** Translated by Palmer, E Faber Ltd, London.

د – المجلات :

محمود الضالع، **قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم**، ص٢٢، صيف ١٩٩٩، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الكويت ، العدد السابع والستون ، السنة السابعة عشرة ،.

أحمد سليمان، **علاقة الجهر والهمس بالمعاني**، ص١٧، ربيع ١٩٨٩، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد الرابع والثلاثون ، المجلد التاسع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ELEMENTS REALIZING SEMANTICS IN ARABIC

Linguistic study

By

Sael Shadid

Supervisor

Professor Nihad Al-Musa

Abstract

This **study surveys the key elements which actualize Arabic semantic, and simultaneously believes that semantics is always the speaker's objective. To actualize semantic, various elements of all language structural levels collaborate together with contextual elements. such levels are phonic, dictionary, phonemic, syntactic and the case inflections as well.**

The **study comes in six chapters. The first chapter deals with the element that realizes dictionary semantic where the researcher believes that a dictionary is a self- existent element characterized by its relation with the systematic structure, and so it becomes an auxiliary factor in selecting the right vocabulary word. The second delves into understanding the phonic semantic which is actualized only by dividing phonic into its components such as intonation, stress and pause. Syntax, together with the within elements, occupies the content of the third chapter. The researcher, having shed light on the difference between the shallow and the deep syntax, believes that syntax must be considered as an integral unit as a way to fully comprehend semantic in any given structure.**

The fourth chapter explores the role the case inflection plays in transferring semantic and the effect this leaves on rhythm, while the fifth propounds the relation between phonemic structure and semantic and the necessity to bridge between that structure and its own meaning. The "necessities", as so- called in this study, forms the material of the sixth chapter, and it refers to the major factors that may affect the context meaning and consequently semantic.

The **researcher supposes that the outcomes which the study concluded are new.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit